القسم الثاني

عبثيَّات في الشأن الاجتماعي

الوقفة الأولى:

العبث بالأرزاق

قبل سبع سنين استعدَّ الناس لاستقبال القرن الحادي والعشرين.[1] هذا الاستعداد ملأ الصحف والدوريات والخطب والمحاضرات، بل إنَّ هناك كتبًا مهمَّة، تخصَّصت في الحديث عن هذا القرن. ويؤكِّد المؤرِّخون الاجتماعيون استحالة التحديد الزمني الصارم للتحوُّلات والتغييرات، إلا أنْ تكون تحوُّلات ماديةً واضحةً، مثل البدء في تطبيق نظام، أو الانتقال من مكان إلى مكان، أو البدء في تغيير نمط من الأنماط، وما عدا ذلك فالتغيير متعذِّر قطعًا.[2]

من الأمور المهمَّة التي يركِّز عليها الداعون إلى الاستعداد للقرن الحادي والعشرين الميلادي مسألة السكَّان والتفجُّر السكَّاني، والخوف من عدم توفُّر العيش للمليارات المنتظرة من الناس، مما يعني التوكيد على التخفيض من السكَّان، باتخاذ

(١) دخل القرن الحادي والعشرون الميلادي دون حدوث مشكلات ماديِّة وكونية، إلا أن إطلالته استُهلَّت بقيام حروب بأنواعها، لا تزال تهدِّد المجتمع الإنساني.

(٢) انظر: فصل: الإسلام في القرن الحادي والعشرين.. ص ٨٧ ـ ١١٥.
في: محمود حمدي زقزوق. **الإسلام في عصر العولمة**. . القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.. ١١٩ ص.

السبل والوسائل المشروعة نظامًا، وغير المشروعة نظامًا، كذلك، مثل تحديد النسل والإجهاض، وربَّما قيل، أيضًا، للهروب من مدلولات هذه الوسائل، السعي إلى تنظيم الأسرة، والاكتفاء بعدد محدَّد من الأولاد، حتى سعت الصين إلى الحدِّ من الولادات، واتَّخذت إجراءات غير إنسانية للحوامل، الراغبات في زيادة النسل.

في القرآن الكريم نصوص صريحة على عدم القتل، بأي شكل من أشكال القتل، إنْ بسبب الفقر، أم بسبب الخوف من الفقر: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا به شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم به لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام ١٥١). ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً﴾ (الإسراء ٣١). وعلينا أنْ نتأمَّل هاتين الآيتين، مع الأخذ في الحسبان التفصيل في ذلك.

اتَّخذت الهند لهذا إجراءات إنسانية أيضًا، منعت فيه الأشعة فوق الصوتية، التي تعين على التعرُّف على جنس الجنين، سعيًا إلى الحدِّ من الإجهاض الذي سرى ـ كما مرَّ الحديث عنه ـ، إذا ما تبيَّن أنَّ الجنين أنثى، والذي وصل مليوني (٢،٠٠٠،٠٠٠) حالة

إجهاض في سنة واحدة.[1] في هذا كله اتِّكال على الأسباب، يُفاقم من المشكلة، ولا يسعى إلى حلِّها، في منظورنا نحن المسلمين، ذلك أنَّ الله تعالى يكتب رزق المرء قبل ولادته، بل إنَّ مصيره في الحياة مكتوب.

في لحظة من لحظات التأمُّل والتفكُّر، ينظر المرء من حوله، فيجد نفسَه بين أهله وذويه الأعلين والأسفلين، فيحمد الله تعالى على هذا الجمع المبارك. ثم يحصل على قدر من المال، بالطرق المشروعة الحلال، ليصرف منه على نفسه، وعلى أهله وعلى من يراه من المستحقِّين، فيحمد الله تعالى على هذه الوفرة من المال، مهما قلَّ مبلغها. ثم يتذكَّر قوله تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾(الكهف ٤٦).

أرأيتم أنَّه يقلق كثيرًا على هذه الزينة، وقد أُشرب حبَّ الحفاظ عليها، وفطره الله تعالى على التمسُّك بها. فتأتي الآيات الأخرى تحذِّر من الإفراط في التعامُل معها، أوالتفريط في الاتِّكاء عليها. فما هي إلا زينة زائلة، وما هي إلا تشويق إلى الزينة، الدائمة والنعيم المقيم.

---

(١) انظر: صالح بن عبدالرحمن الحصيِّن. **قضايا بلا حدود**.. مرجع سابق.. ص ٦٩.

لذا يطالَب من وهبه الله تعالى هذه الزينة أن يعطيَها حقَّها، أو يؤدِّي حقَّها عليه، فيُحسن تربية الأولاد، بدءًا من اختيار والدتهم، ويسهر على سلامتهم من كل مكروه، في العقل قبل الجسم، ويتوكَّل على الله، بعد أن بذل الجهد. ويطالَب من وهبه الله المال أنْ ينفقَه في طرقه المشروعة، وأنْ يظهره على نفسه أوَّلا، ثم على من يعول، ثم يؤدِّي حقَّه عليه، من زكاة تؤخذ منه وتردُّ على فقراء الأمَّة، ليزيد مالُه بهذه النفقة، فلا ينقص. وتكتمل لديه الزينة من صلاحٍ للأولاد، وطيب في المال.

لا تقتصر هذه الزينة على الدنيا، إذا ما أحسن المرء منا التعامُل معها، إذ إنَّ المال المنفَق منه القليل في الخير، يعود على صاحبه في الخير في آخرته، وقبل ذلك في مرقده الصغير، بين الجيران الذين لا يتزاورون. وقبل ذلك كله في حياته الدنيا، والله يضاعف لمن يشاء.

الأولاد، الذين يصلحهم الله تعالى، يبقون ذُخرًا لوالديهم، يدعون لهم بالعشيِّ والإبكار. وهكذا نعملُ على تطويع متاع الدنيا، فنأخذ منه المشروع، نستفيد منه في دنيانا، ثم نترك لأنفسِنا رصيدًا، لا نأخذه معنا، ولكنه يبقى لنا ذخرًا مدَّخرًا، يعيننا، بعد عون الله تعالى، على رفع الدرجات، وتكفير الذنوب.

ما دام المالُ والبنون زينةَ الحياة الدنيا، فما الذي يمنع الواحدَ منا أنْ ينظر إلى هذين العنصرين على أنَّهما كذلك، فيسعى من ليس لديه مال إلى الحصول عليه، بطرقه المشروعة، إذ العبرة بالأهداف وبالوسائل. ويسعى اللذان لم يحصلا على الأولاد للحصول عليهم، باتخاذ الأسباب المشروعة، أيضًا، لذلك، من الاقتران ببنت الحلال الودود الولود، أو بابن الحلال، ثم البحث عن أسباب عدم الإنجاب، والسعي إلى علاجها. فإن لم يتحقَّق بعد ذلك كلِّه، بسبب من أحد الشريكين، أو كلاهما، فإنَّ الله تعالى لا يظلم أحدًا من عباده، مهما طغى العبد وتكبَّر، وتجبرَّ على خالقه.

يكفي المرءَ العاديَّ المؤمنَ أنْ يتَّخذ الأسباب، فلا يقلق بعد ذلك على أنه لم يحقِّق النتائج، لأنها ليست بين يديه، فيحمد الله تعالى على هذا الابتلاء. ويتصرَّف في حياته بما تيسَّر له من مال وولد، ولا ينظر إلى من هم فوقه في هذه الزينة، إذ إنها، مع أنها زينة، فإنها قد تكون فتنة: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾(تغابن ١٥). وفي هذا عزاء كبير لمن لم يتحقَّق له أحدهما، وفيه بيان لمن تحقَّق له أحدهما، أو كلاهما، ألا يُفتن بهما.

☆ ☆ ☆

الوقفة الثانية:

العبث بالقانون الدولي

هناك خمسون دولة إسلامية عضو في المنظَّمة الدولية، هيئة الأمم المتَّحدة، وهذا الرقم يمثِّل ثلثَ الأعضاء، تقريبًا. وفي وقفة سابقة جاءت الدعوة إلى الوجود الدولي في الاشتراك في وضع النظم والاتِّفاقيات، بحيث يدخل الحسُّ الإسلامي في الصياغة وفي الفحوى، وإنْ يكن بطريق غير مباشر، والابتعاد عن العزلة، وأنها نوع من العبث في زمن العولمة.

في مناقشة هذا الموضوع مع الزميل الدكتور/ **عبدالرحمن ابن أحمد الجعفري**، عضو مجلس الشورى السابق، وكان يدير، سابقًا، مؤسَّسة خليجية إقليمية للاستشارات الاقتصادية، طرح فكرة التعاون والتنسيق بين الدول الإسلامية عن طريق منظَّمة المؤتمر الإسلامي، أو عن طريق الوزارات والمصالح المعنية بهذا الجانب في الدول الإسلامية، بحيث تخرج، جميعًا، بصيغة تمكِّنُها من الإسهام في الاهتمام بمصالح الإنسان المعاصر، من خلال التنظيمات الدولية.

لدى العالم الإسلامي، اليوم، خبرات جيِّدة وكثيرة في مجالات التشريع والنظم والقانون الدولي، وهناك خبراء ذوو

خلفية إسلامية، يعملون مع المنظَّمات الدولية، ويسهمون في أعمالها التنظيمية، ولكن الذي يظهر أنَّهم يمثِّلون أنفسهم، وقد يعمد بعضهم إلى عدم إقحام الخلفية هذه خوفًا من الرفض أو لعوامل أخرى، لا تغيب عن فطنة القارئ.

أحسب أنَّه متى ما أثير هذا الجانب وتكثَّف الوجود الإسلامي في المجالات العملية لهذه المنظَّمات فإنَّ الاستعداد والقابلية موجودان لدى هؤلاء الخبراء الذين يعملون الآن في المنظَّمات.

الدخول غير المباشر مقصود ومطلوب، ذلك أنَّ الخبراء الآخرين الذين كانت لهم اليد الطولى في الصياغة، وفي المضمون للنظم والاتِّفاقيات، لا يُظهرون أنَّهم ينتمون إلى خلفيات دينية وثقافية متميِّزة، بل إنهم يظهرون بالمظهر الدولي العولمي الذي يعمد إلى الشمولية في وضع الأنظمة والاتِّفاقيات، بينما واقع الحال أنَّ الخلفية الأيديولوجية تطغى على المواد والفقرات، وتعكس في الغالب النظرة الغربية إلى الحياة والناس، ولذا تأتي مواد النظام (القانون) موضع تحفُّظ، أو عدم ارتياح من الدول الأخرى، التي لا تتَّفق وهذه النظرة في مشروع النظام (القانون). ومن حق الدول الأخرى التحفُّظ على أي مادَّة أو صيغة تؤثِّر على نظرتها هي للحياة والناس. وهذا الحقُّ يؤثِّر على التطبيق في النهاية، بعدما كان له أثر في الفهم وفي التفسير.

قد يوصلنا هذا إلى نتيجةِ أنَّ النظرة الغربية للأشياء، وهي المسيطرة على التنظيمات الدولية، قاصرة في شموليتها. ولا أريد أنْ أذهب أبعد من هذا فأتَّهم هذه النظرة بتجاهُل النظرات الأخرى، لأنَّ الواقع أنَّها لا تتجاهلها عندما تضع عبارات للاستثناء، ولتطويع الموادِّ والصياغات لتفسيرات النظرات الأخرى.

على أيِّ حال، الوجود الإسلامي الدولي أصبح ضرورة حضارية تعين - بعد عون الله تعالى - على فهم صحيح لهذا الدين، وتسهم في تقديم الحلول التي تقبل التطبيق على الجميع، ذلك أنَّ هذه الحلول ليست مقصورة على إقليم دون آخر، أو أمَّة دون أخرى، وهي ليست ملكًا لأحد.

لقد آنَ الأوان لهذه الخطوة أنْ تأخذ طريقها إلى الواقع بتوفُّر مقوِّماتها، ولعل منظَّمة المؤتمر الإسلامي تأخذ قصب السبق من خلال مؤسَّساتها التي تُعنى بهذا الجانب، فالناس - كل الناس - ينظرون إلى هذه المنظَّمة أنْ تكون هي المبادرة في هذه المجالات، نظرًا لما تتمتَّع به من مكانة خاصَّة في القلوب، بل ربَّما أحجم الآخرون عن الإقدام على هذه الفكرة؛ لأنهم لم يروا مبادرة من صاحبة المكانة الخاصَّة في القلوب، وعليه فإنَّ منظمَّة المؤتمر الإسلامي، إذا ما أقدمت على هذه المشروعات، فإنَّه ينتظر من الآخرين معاضدتها ومساندتها، وتقوية مكانتها دوليًا.

الوقفة الثالثة:

العبث بالغياب

العالم يعيش اليوم حالة من التنظيم الدولي والإقليمي، والملحوظ للجميع أن هناك منظَّماتٍ دولية وإقليمية يراد منها أنْ ترعى مصالح الناس، وما يخدم الإنسان، في هذه الدنيا على الأقل، ومراعاة المصالح تقوم على أساس من نظام (قانون)، أو أنظمة (قوانين) يُطلب من الدول الأعضاء، في أيِّ تنظيم، المصادقة عليها، والتوقيع عليها، وتنفيذها على مجتمعها، بموجب موادَّ وفقرات، تحاسب على الإخلال بها أيُّ دولة، بطريقة من المحاسبة يضعها النظام (القانون) وموادُّه. والذين يضعون هذه الأنظمة (القوانين) مجموعة من المتخصِّصين والخبراء في القانون الدولي، وهؤلاء يعودون إلى ثقافات مختلفة، ليست بالضرورة ملائمة لجميع ثقافات الشعوب.

من هذا المنطلق نجد أنَّ كثيرًا من المهتمِّين يجد حرجًا كبيرًا في قبول هذه الأنظمة (القوانين)، التي تصاغ على شكل اتِّفاقيات، ذلك أنَّه يوجد في صياغتها عبارات لا تتَّفق، بالضرورة، مع نظرة الإسلام للموضوع، الذي وضِع له النظام (القانون). والحرج يكثر، أيضًا، إذا ما جاءت الصياغة من منظَّمة

دولية، لم يبدُ عليها احترامَها أو تقديرَها للمجتمع المسلم في المعاناة التي يمرُّ بها، الآن، في أكثر من مكان، مما يوحي بفقد المصداقية في هذا الجانب على الأقل. قد يقود هذا إلى فقدان المصداقية في الجوانب الأخرى التي ترعاها هذه المنظَّمات الدولية، بغضِّ النظر عن مجالات اهتمامها.

يمكن التغلُّب على هذا الحرج الكبير بمشروع طويل المدى، وفيه صعوبة آنية، ولكنه متحقِّق ـ بإذن الله ـ وذلك بالانخراط القوي في هذه التنظيمات الدولية.

يتحقَّق الانخراط القوي من خلال الخبرات ذات الخلفية الإسلامية، وليس في التمثيل والاشتراك في المنتديات والمحافل والمؤتمرات الدولية فحسب، بحيث يقتصر الأمر على خطاب أو بيان أو اعتراضات، بل إنَّ الخبرة مطلوبة لاقتحام هذه المؤسَّسات الدولية بالخبرة والعقول، التي تسهم في صياغة النظم، وتقدِّم البدائل التي لا تفرض، بالضرورة، التوجُّه الإسلامي على أنَّه توجُّه إسلامي، ولكنْ على أنَّه بديل يلقى القبول لدى معظم الأعضاء، إنْ لم يكن كلهم، لأنَّه يُفترض في الصياغة البديلة أنها منطلقة من مفهوم قابل للتطبيق على الجميع. ويقصد عدم التركيز على التصنيف الأيديولوجي التخلُّص من الحذر الذي يستقبله الآخر به، لعوامل عدَّة، لا مجال للخوض فيها، قد يكون

من أبرزها عامل الجهل بالبديل، وقيام هذه المنظَّمات على نبذ الخلفيات الأيديولوجية، ظاهرًا، وعدم إقحامها في سنِّ النُظم والاتِّفاقيات، أيّ عدم أدلجة النظم (القوانين) الدولية.

لا يجدي انتظار الصياغات الأخرى، ثم نقدها والتحفُّظ عليها جميعًا؛ بسبب ورود ما يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، إذ المطلوب الإيجابية في هذا المجال بالاشتراك في وضع النظم (القوانين) والاتِّفاقيات الدولية. والاشتراك سوف يريح الدول الإسلامية عمومًا، عندما تنظر إلى هذه النظم (القوانين) والاتِّفاقيات للمصادقة عليها، ثم التوقيع عليها، فتطبيقها على مجتمعها.

بالاشتراك في هذه المجالات فوائد أخرى غير هذه، يمكن أن يكون منها تقديم الإسلام بالصورة العملية التي ينبغي أنْ يقدم بها.

☆ ☆ ☆

الوقفة الرابعة:

العبث بالمرضى

لعلَّ من أنبل المهن التي يتصدَّى لها الإنسان هي تلك التي تتعلَّق بصحَّة الإنسان من طبٍّ وتمريض. والطبُّ، منذ عرفه التاريخ، يحظى بالاحترام والتقدير من قبل العامَّة. والطبيب شخص ينظر له الآخرون على أنَّه يملك فكرًا وذهنا ويدًا فوق العادة؛ لما امتهن من طريقة مثالية في خدمة المجتمع. ونحن نعلم أنَّ هذا الفكر والذهن وهذه اليد إنَّما هي أسباب لجلب الشفاء للمريض أو المتوعِّك.

كان الأطبَّاء، ولا يزالون، يشعرون بسعادة تصل بهم إلى تحقيق الذات، وهم ينظرن إلى مرضاهم يتماثلون للشفاء، فينظر إليهم مرضاهم نظرات تغني عن التعبير بالكلمات. تلك النظرات التي تحجب الرؤية عنها غزارةُ دموع الشكر والعرفان بالجميل. وهذه من أنبل الإنجازات التي يمكن أنْ يرصدها الطبيب في حسابه الخاص. لاسيَّما إذا صاحبتها دعوات صادقة بمزيد من التوفيق، فترى الطبيب يسير من حسن إلى أحسن، لا لشيء أكثر من أنَّه خدم مهنته، وخدم من خلالها الناس.

النظرة المثالية للطبيب، أيِّ طبيب، تعكِّرها، أحيانًا، بعض التصرُّفات الفردية التي لا تكوِّن ظاهرة، ولا تشكِّل خطرًا. خلاصة هذه التصرُّفات أنْ يعمد الطبيب إلى استخدام فكره وذهنه ويده على وجه يخالف ويناقض ما أريد لها أنْ تصرف فيه. ولأنَّ التوقُّعات من الطبيب هي في درجة المثالية الواقعية. تجد أنَّ التصرُّفات المضادَّة تلقى شيئًا من الاستهجان والاستغراب والازدراء لشخص الطبيب، لا للمهنة ذاتها. والمتابع للصحافة السيارة يطِّلع على نماذج من ذلك.

علينا أن ندرك، هنا، مجموعة من المسلّمات التي لا بُدَّ من أنْ يعيها الناس جميعًا. ومنها:

١ ـ أنَّ الطبيب بشر قبل كلِّ شيء.

٢ ـ أنَّ البشر محدودو المعرفة، ولا يؤتون من العلم إلا قليلا. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(الإسراء: ٨٥).

٣ ـ أنَّ الأطباء بعامَّة مخلصون لمهنتهم، ومخلصون للمجتمع الذي يعملون فيه.

٤ ـ أنَّ الطبيب، لكونه بشرًا، يعتريه ما يعتري البشر من أمور جسمية ونفسية واجتماعية، قد لا يدركها البعض، فلا يسلِّمون بها في الطبيب، وإنْ سلَّموا بها في غيره من الناس،

على اعتبار أنَّ هذا الطبيب قد وصل بعلمه إلى درجة المثالية الإنسانية، التي تحميه من نوائب الدهر.

٥ ـ أنَّ الطبيب يواجه تحدِّيات إجرائية وإدارية في كل مجتمع، فقد لا يستطيع تهيئة الجوِّ المناسب جدًا لأداء عمله في بعض المجتمعات، وربَّما كان هناك النقص في الأجهزة، والنقص في العاملين المساعدين، والنقص في الدواء، والنقص في المعلومات الطبية المطلوبة، وهو لا يملك قوَّة خارقة تعينه على التغلُّب على هذه التحدِّيات أو العقبات.

٦ ـ أنَّ ما اكتشف، علاجًا للأمراض، تشخيصًا ودواء، لا يصل إلى واحد من الألف (٠٠١٪) ممَّا هو مطلوب، وما العالم الحديث بحاجة إليه.

٧ ـ أنَّ مهنة الطبِّ تعتمد، فيما تعتمد عليه، على التشخيص، والتشخيص لا يقتصر على الكشف، بعيدًا عن الحوار التشخيصي مع المريض. ولذا يصعب الوصول إلى نتيجة قريبة من الحتمية، إذا لم يتعاون المريض مع طبيبه في مسألة التشخيص. وقد يضلِّل المريضُ طبيبه، عندما يعمد إلى تعمية الحقائق؛ جهلاً بتأثيرها على التشخيص.

٨ ـ أنَّ الطبيب بحاجة إلى ثقة المريض به، وهذا له دخل لا بأس به في عملية العلاج والشفاء. وكم حالة عرضت على طبيب لم

يقتنع به المريض فوصف الطبيب العلاج المناسب، فأهمله المريض، أو وضع في ذهنه أنَّ هذا الطبيب لم ينفع، فلم ينفع.

٩ ـ أنَّ كثيرًا من الناس يريدون أنْ يدخلوا على الطبيب مرضى فيخرجون منه معافين، دون اللجوء إلى برنامج علاجي قد يطول. وتلك مصيبة المريض، لا يتحمَّل منها الطبيب شيئا البتة، إلا إذا قصَّر في محاولة إفهام المريض المطلوب.

١٠ ـ أنَّ الطبيب لا يقف وحده هنا، ولكنَّ هناك مجموعةً من المساعدين، الذين يقفون إلى جانبه، ومن هؤلاء الصيادلة، وهم على درجات من حيث العلم، فيحدث أنْ يخطئ الصيدلي في صرف الدواء وقوَّته، فيُتَّهم في هذا الطبيب، والطبيب منه براء. ولذا يعمد كثيرٌ من الأطبَّاء إلى النظر إلى الدواء المصروف بعد صرفه للتأكُّد من دقَّته.

١١ ـ أنَّ تناول الدواء يخضع لنظام يحتاج فيه المريض إلى القراءة، أوَّلاً، ثم اتِّباع الإرشادات، من حيث الجرعاتُ والمدَّة والأعراض الجانبية، ومثل ذلك، وقليلٌ من الناس من يقرأ النشرة المرفقة بالدواء، ويكتفي بما يكتبه الصيدلي على الدواء مثل (١×٣)، وهي سلبية غير مرغوب فيها من الصيدلي، كما هي من المريض.

هكذا نجد أنَّ هناك مجموعةً من العوامل التي تؤثِّر في أداء الطبيب لمهنته الإنسانية، ومن ثمَّ تؤثِّر في تأخير الشفاء، أو

انتفائه، إنْ لم تؤدِّ إلى مضاعفات أخرى، يكون للطبيب فيها إسهامٌ محدودٌ جدًا، ولكنَّ الناسَ يلقون باللائمة عليه، مباشرة، قبل أنْ يتحرَّوا الدقَّة في مثل هذا الاتِّهام.

إذا روعيت هذه المجموعة من العوامل ووعاها الناس، المتعالِجون منهم، وجدنا أن الأصل في الطبيب أنْ يوفَّق - بتوفيق الله تعالى - في التشخيص، وفي صرف الدواء، وتكون النتيجة الشفاء، ما أرد الله - سبحانه وتعالى - ذلك.

خلاف الأصل أنْ يعمد الطبيب إلى المغالطة في كل ما مرَّ، فيتعمَّد الضرر بالمريض، لأغراض غير إنسانية، نتيجة لمرض في الطبيب نفسه. وتلك حالات تمرُّ، فيُعلن عنها، ويُعاقب عليها فاعلوها ويُحاكمون، وقد يُمنعون من الاستمرار في مزاولة هذه المهنة، لأنَّهم أثبتوا أنَّهم دون مستواها، مثلهم في هذا مثل كل من يسئ إلى مهنته. من هنا تأتي الفحوص والاختبارات الدورية للأطباء، وذوي المهن الحسَّاسة، ذات العلاقة المباشرة بحياة البشر، كالممرِّضين والطيَّارين ورجال الأمن والدفاع المدني ونحوهم، يفحصون جسميًا ونفسيًا؛ خوفًا من الانزلاق في تصرُّفات تكون لها جملة من المضاعفات.

إنَّه لمن المحزن أنْ يقرأ المرء، أحيانًا، وفي بلدان غربية وشرقية تدَّعي التقدُّم، عن مؤامرة طبيب في القضاء على مريضه، أو

ممرِّضة تعتني بالمواليد الصغار، فتقضي عليهم، أو ممرِّض يدخل على المرضى في أوقات يختارها، فيستعمل علمه فيما يضادُّ ما تعلَّمه من أجله. وتلك تصرُّفات تؤكِّد على أنَّ البشر، مهما وصلوا إلى العلم الدقيق، هم بحاجة إلى مقوِّمات أخرى أساسية في حياتهم تدفعهم إلى تسخير هذا العلم فيما ينفع.

هنالك مجموعة من المقوِّمات التي يستطيعها البشر مرسومة لهم، يأتي على رأسها مخافة الله تعالى، وجعله رقيبًا أوَّلَ وأقوى من رقابة البشر، لاسيَّما في المجتمع المؤمن الذي يدرك هذه المعاني ويعيشها. ولذا نجد مثل هذا الحوادث الشاذَّة عالميًا شبه معدومة في المجتمعات المؤمنة، التي تؤكِّد على المعاني السامية لمهنة الإنسان في هذه الأرض. فيدرك الطبيب أثره على المجتمع، فلا يخذُلُ الأطباءُ مرضاهم.

☆ ☆ ☆

الوقفة الخامسة:

العبث بالشأن النسائي

طرحت الدكتورة **نورة بنت خالد السعد**، الكاتبة والأكاديمية السعودية، المعروفة، في الساحة الإعلامية، بكتاباتها الرزينة العاقلة المتعقِّلة (ربيع الحرف)، فكرةً مهمَّة حول أسلوب عمل المرأة، من منطلق انتمائي، وليس عمل المرأة فحسب. وركَّزت في وقفتها تلك على التنبيه إلى عدم استغلال المرأة لأنوثتها، أو بسبب أنوثتها، وإخراجها من سمتها وحيائها وحشمتها بحجَّة العمل. وكان طرحها واقعيًا، منتميًا لما تنتمي إليه الدكتورة نورة السعد، وجميع صويحباتها العاملات في مجالات شتَّى. وانبرى من يتَّهمها بأنها ستُعيد المرأة المعاصرة إلى حال المرأة في عصر المماليك.[1]

نحن، هنا، بحاجة إلى شخص متخصِّص في التاريخ الاجتماعي، أو الاجتماع التاريخي، ليبيِّن لنا ما كانت عليه المرأة في عصر المماليك. هل هي كما صوَّرها مؤرخون غير منصفين؟

(١) انظر: شوقي أبو خليل. **تحرير المرأة ممَّن؟ وفيمَ حرِّيتها؟**.. ط ٣.. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.. ٧٩ ص.

أم أنَّها، كما رسمها مستشرقون، قابعة في سكن الحريم، مهيَّأة للرجال، متى ما عادوا إلى لهوهم، وهي جزء من لهوهم، على اعتبار أنَّ الحياة عند هؤلاء، في نظر بعض المستشرقين من المؤرِّخين، كانت لهوًا وعبثًا؟[1]

كثيراً ما نظلم المماليك في حياتهم السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية، بل وصوَّرهم الإعلام الاستشراقي الغربي، والإعلام القومي العربي، على أنَّهم كتلٌ من الغباء المركَّب، والشهوات الجامحة. ولعلَّ هذا كان من إيحاءات استشراء المدِّ القومي في بدايات القرن الهجري الرابع عشر، القرن العشرين الميلادي. وبهذا ننسى الجهود التي قام بها المماليك لصدِّ الغزو الفكري والعسكري على المجتمع المسلم، ومنه المجتمع الغربي. هذه واحدة.[2]

والأخرى أنَّ الدكتورة **نورة السعد** كانت تنطلق، في وقفتها تلك، إلى الرغبة في إيجاد بيئة عمل للمرأة، تُعفيها من التعرُّض لما تتعرَّض له المرأة العاملة في مجتمعاتٍ لم تهتمّ بإيجاد هذه البيئة، واعتبرتها رجوعًا إلى عصر المماليك، وبالتالي، انغلاقًا

(١) انظر: عقيلة حسين. **المرأة في الفكر الاستشراقي**.. بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.. ٢٩٠ ص.

(٢) انظر: إرفن جميل شِكْ. **الاستشراق جنسيًا**/ ترجمة عدنان حسن؛ تقديم ممدوح عدوان.. بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.. ٣٥٨ ص.

وتحجيماً لإمكانيات عمل المرأة، وتوسيع فرص إسهامها في سوق العمل. وإسهام المرأة في سوق العمل لا يراد له أنْ يكون على حساب المبادئ والمثل و القيم، التي صاغت هذا المجتمع.(١)

المؤكَّد أنَّ هذا ليس قصد أولئك الذين اتَّهموا الدكتورة **نورة السعد** بتلك الاتِّهامات، ولكن ذلك يعود كله، ربَّما، إلى النظرة العاطفية للمرأة، في مجال خروجها للعمل. وليس أولى من المرأة إلا المرأة نفسها، حين تتحدَّث عن مجال خروجها للعمل، فهي التي ترقب صويحباتها العاملات، ومدى الموضوعية والواقعية في إسناد بعض الأعمال لهن.

لا بُدَّ من التوكيد على الوضوح ، من منطلق منهج الوسط، في الطرح حول إيجاد بيئة عمل للمرأة، تسهم فيه في تنمية المجتمع، ويكون وسيلةً تسترزق من ورائه، ولا بُدَّ من الابتعاد عن كل أساليب الحوم حول الحمى، دون الوقوع فيه، ذلك أنَّ المشكلة التي تعاني منها المرأة، ويعاني منها الرجل كذلك، هي المراد من عمل المرأة، أو المراد من المرأة في عملها.(٢)

---

(١) انظر في الدعوة إلى تخطِّي القيم والمُثل والمبادئ: المناظرة بين كلٍّ من أميمة أبو بكر وشيرين شكري. **المرأة والجندر: إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين**- دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م- ٢٥٥ ص- (سلسلة حوارات لقرن جديد).

(٢) انظر في مسالة حقِّ المرأة في العمل: جمال الدين محمَّد محمود. **المرأة المسلمة في عصر العولمة**- القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م- ٢٢٢ ص.

الذين يسافرون في رحلات عمل أو سياحة يجدون هذا السؤال قائمًا. وأكاد أقول: إنَّ المرأة قد أحيلت، في كثير من الحالات، إلى أداة، أكثر من كونها امرأةً عاملة. هذه الأداة هي جعلُها كما أراد أنْ يعبِّر عنه بعض الذين ردُّوا على الدكتورة **نورة بنت خالد السعد**. ويبدو أنَّها أحيلت إلى أداة لمجرَّد متعة النظر، وإشباع رغبات ذاتية، وبالتالي، طُلب منها أنْ تتزيَّن للعمل، وأنْ تلبس أحسن الثياب، وأقلَّها ما أمكن، فلم يعد التبرُّج قاصرًا على أهل الفنِّ والمواخير الليلية، بل أضحى مرئيًا في الشارع، والمتجر والمكتب والمشغل.

المؤمَّل من الجميع تأمُّل هذا الطرح، والنظر إليه مرة أخرى بموضوعيةٍ وواقعيةٍ، وقليلٍ جدًا من العاطفة، التي تشطح بالموضوع، وتبعده عن الخروج بنتيجة.[1]

أهم العوامل التي تراعى في إيجاد بيئة عمل للمرأة، وليس هو العامل الوحيد، هو الابتعاد عن المخالطة، الذي ولَّد ما ولَّد من مشكلات اجتماعية، لها أوَّل، وليس لها آخر. ثم تأتي العوامل الأخرى في هذه البيئة، تراعى فيها طبيعة المرأة، وحاجتها إلى

(١) انظر في مسألة تحرير المرأة: العمل الموسوعي الذي تولاَّه عبدالحليم محمَّد أبو شقَّة. **تحرير المرأة في عصر الرسالة: دراسة عن المرأة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم**- ٦ ج- ط ٦- الكويت: دار القلم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

أمور مهمَّة في حياتها اليومية، تجدها أمامها في العمل.[1] وهذا الذي سعت إليه منظمة العمل الدولية، حينما كان من تركيزها في مؤتمرها العامّ الذي عقد عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، مسألة الأمومة لدى العاملات، وإيجاد البيئة للرعاية والمتابعة، منذ الحمل، فالولادة، فالرضاعة والحضانة، مع إيجاد أماكن مخصَّصة لراحتها، وراحة رضيعها. وكان هناك نقاش طويل حول مدَّة الرضاعة أو الحضانة، كان موضعَ جدل بين فريق العمل وفريق أصحاب العمل، ولم ينته النقاش إلى رؤية محدَّدة في تحديد المدَّة التي يمكن للمرأة العاملة فيها أنْ تحضن رضيعها.[2] من هذا المنطلق، تفرض قوانين (أنظمة) العمل إيجاد هذه البيئة للمرأة لتحضن رضيعها، في أوقات تحدِّدها اللوائح، المنبثقة عن هذه القوانين (الأنظمة).

نقاش هذا الموضوع، بيئة عمل المرأة، لا يقتصر على الجانب المحلِّي فحسب، ولكنْ كلٌّ ينظر إليه من منطلقاته الثقافية، وانتماءاته وعاداته وتقاليده. ولا بُدَّ من التوكيد، مرَّة أخرى، أنَّ

(١) انظر: إبراهيم بن مبارك الجوير. **عمل المرأة في المنزل وخارجه** ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ـ ١٢٠ ص.

(٢) انظر: منظمة العمل الدولي. **التقرير الرابع: حماية الأمومة في العمل: مراجعة اتفاقية حماية الأمومة (مراجعة) ١٩٥٢ (رقم ١٠٣) والتوصية، ١٩٥٢ (رقم ٩٥)** ـ جنيف: مكتب العمل الدولي، ١٩٩٩م ـ ١٢٩ ص.

الذين انبروا للردِّ على الدكتورة نورة السعد في طرحها المتعقِّل ليسوا منطلقين من منطلقاتٍ تغريبيَّة، فيها تقليد للآخر، ورغبة في الخروج من السمت والاحتشام، الذي عُرف عن المرأة المسلمة عمومًا، والعربية خصوصًا، والخليجية على وجه أخصٍّ. إلاَّ أنَّه، مع هذا، لا يخلو من تأثُّر بأفكار غير انتمائية، هي إلى العبث أقرب منها إلى النظرة الجادَّة للشأن النسائي.

عدم الموافقة على الطريقة التي تقدَّم بها الأفكار نابعٌ من الفهم أنها صيغت بمفهومات غريبة عن المجتمع المسلم، وتريد فرض هذه الأفكار، على حساب المفهوم الإسلامي النظري والتطبيقي للمرأة، على اعتبار أنهم يزعمون أنَّ الإسلام يميِّز بين الرجل والمرأة.[1] فأصبح الموقف موقفَ المدافع، عندما يُبيِّن موقف الإسلام من المرأة، بأسلوب يُرغب فيه في إقناع الآخر بهذا الموقف، بعبارات عامَّة، يبدو أنَّها صادرة عن ردِّ فعل.

لا ينبغي اللجوء إلى موقف الدفاع، في الشأن النسائي وفي غيره، بقدر ما ينبغي إثبات حقائق، جاء بها القرآن الكريم وسنَّة المصطفى ﷺ، ومورست في حياة المسلمين، وقبلت بها المرأة

(١) انظر: عبدالمجيد الزنداني. **المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام**- الكويت: مكتبة المزار الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م- ١٨٠ ص.

المسلمة، إيمانًا منها، واعتقادًا بها، ولم تُملَ عليها.[1] هذا مع التوكيد على مرجعية هذا الموقف، دون الخلط بين المرجعية الشرعية والمأثورات الاجتماعية، التي لم تكن إيجابيةً في موقفها من المرأة.

إذا كانت المرأة تعاني في بعض المجتمعات من التفرقة، وسوء المعاملة، فإنَّ هذا لا يعني، بالضرورة، مطابقة هذا على المرأة المسلمة، في الأسرة المسلمة الملتزمة بالإسلام. كما أنَّ ممارسات بعض المجتمعات المسلمة تجاه المرأة، تقليدًا اجتماعيًا موروثًا، لا يعني تماشي هذه الممارسات مع الدين، ولا تؤخذ حجَّةً على الإسلام.[2]

☆ ☆ ☆

(١) انظر في موضوع **المرأة بين الدين والأخلاق**: المناظرة بين كلٍّ من نوال السعداوي وهبة رؤوف عزَّت. ـ المرأة والدين والأخلاق ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ـ ٣٢٨ ص ـ (سلسلة حوارات لقرن جديد).

(٢) انظر: سهيلة زين العابدين حمَّاد. **المرأة المسلمة ومواجهة تحدِّيات العولمة**. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٢١٥ ص.

الوقفة السادسة:

العبث بالأسرة

المقصود به، هنا، التصدُّع الأسَري، لاسيَّما بين المتزوِّجين الشباب، حيث تشير الإحصائيات أنَّ نسبة الطلاق بينهم مرتفعة، وأنه لا تكاد تمرُّ أيام، أو شهور، على الزواج إلا وتنشأ بين الزوجين خلافات، تؤدِّي بهما إلى اللجوء إلى المحاكم. مع أن هناك نسبةً منهم يُنهون ارتباطهم ببعض، دون اللجوء إلى المحاكم، إلا لإخراج صكِّ الطلاق.

هناك، على سبيل المثال، ستون (٦٠) حالة طلاق بالمملكة العربية السعودية في اليوم، (١٤) حالة منها في الرياض. وهناك ٢٤٠ في مصر، وتصل نسب الطلاق في المملكة العربية السعودية ٢١٪، وفي الإمارات العربية المتَّحدة ٤٠٪، وفي قطر ٣٨٪، وفي الكويت ٣٥٪، وفي البحرين ٣٤٪.

يواجه القضاة مسؤولية عظيمة، عندما يدركون أنَّ الأسباب التي أدَّت إلى هذه الحال ليست بذات بال، بل ربما كانت في نظر القاضي، وبعض المتعقِّلين، أسبابًا لا تصل إلى مستوى الخلاف، فيعمد القضاة إلى إصلاح ذات البين، وإعطاء الزوجين المهلة

للتفكير في الأمر، لاسيَّما إذا كانت نتيجة هذا الزواج طفلاً أو طفلين.

إنَّ مجرَّد التفكُّك، بحدِّ ذاته، دون النظر إلى وجود أطفال، يُعدُّ مأساةً اجتماعيةً، لها آثارها النفسية على الزوجين. ومع هذا يظل هناك هامشٌ معقولٌ ومقبولٌ، عقلاً وعرفًا، في وجود عدم توافُق، ينهي العلاقة بالطلاق، طالت المدَّة أم قصُرت. وتعدَّدت الأسباب وراء هذه المشكلة.

لعلَّ من أسباب تفشِّي هذه المشكلة، الآن، في بيوتنا هو ما يتمخَّض عن المسلسلات الاجتماعية، التي تلبس لباسنا، وتتحدَّث لهجتنا، ولو مصطنعةً متصنَّعةً، فتصوِّر الحياة الزوجية على أنها نزاعٌ وتنابُزٌ وتحدٍّ بين الزوجين، وتطاولٌ من كلٍ منهما على الآخر، فأضحت الحياة في هذه المسلسلات، التي تعرض في ساعات الذروة، تجسِّد الصراع، وتفتح أبوابًا وآفاقًا للخلاف، على حساب بعض المفهومات في العلاقات الأسَرية، التي تكفُل الحدَّ من مسبِّبات الخلاف، كالمودَّة والرحمة والشراكة والحبِّ.

من النادر أنْ تعرض هذه النوعية من المسلسلات عن زوجين بينهما انسجام تامٌّ، وتفاهُم، وتحمُّل من أحدهما للآخر، بل ربما أخذ هذا الطابع من الصراع سمة الفُكاهة والطُرفة. وهو، في الوقت نفسه، يترك في نفوس الشباب الانطباعة أنَّ الحياة

الزوجية إنَّما تقوم على هذا الأسلوب من الحياة، تكون فيه الزوجة، دائمًا، مكشِّرةً، ويكون فيه الزوج، دائمًا، عاليَ الصوت في البيت، ملتفتًا عن بيته بأصحابه وزملائه، ولا يأتي البيت إلا ليأكلَ وينام، إنْ لم يأكل في الخارج. وأغفلت هذه المناظرُ التمثيلية عواملَ السكن بين الزوجين، وأنَّ أحدهما سكنٌ للآخر، ولباس للآخر، وأن الأصلَ أنْ تقومَ بينهما، بقدرة الله تعالى وبالتوكُّل عليه، مودَّةٌ ورحمةٌ.

يبدو أنَّ هذه المسلسلات عاملٌ مؤثِّر جدًا، في العقل الباطن للشباب من الجنسين، وهو مؤثِّر سلبًا، مع الأسف الشديد، لا إيجابًا، وإنْ كان يظهر عليه طابعُ التهريج، حتى لتشعر أنك تشاهد عروضًا مسرحية مدرسية، من الناحية الفنية والمضمون، بعيدةً عن أنْ تكون ذات رسالة سامية هادفة، بل قد تجرُّ المرءَ المتابع إلى أنْ يتَّهمها بأنَّها ذات رسالة هادمة، وهو ليس قصدَ من يقومون بالمَشاهِد؛ لأنَّ معظمهم لا يصل إلى هذا العمق، بل هم مركِّزون على الشهرة والأضواء، والمقابل المادِّي، الذي يتلقَّونه من المحطَّات التلفزيونية، التي أضحت «على قفى مَن يشيل». وما يدرون، وليتهم يدرون، أنَّهم يتحمَّلون، بعملهم هذا، وزر أيِّ بيت يتصدَّع في مستقبل الأيام، وما ينتج عن ذلك كله من آثار وخيمة على المجتمع.

لست أدعوهم إلى مراعاة ذلك، فلن يراعوه؛ لأنهم لن يجدوا مادَّة تضمن لهم الإقبال، ولكنِّي أدعو المقبِلين إلى أنْ يُدبروا عنهم. وأدعو الآباء والأمَّهات إلى تنبيه الأولاد، بنين وبنات، بالقدوة، بأنَّ الحياة خير كلُّها، إذا أريد لها أنْ تكون خيرًا كلَّها، وأنَّ قيام البيت يتَّكئ على عوامل، كلُّها تصُفُّ في مسار التفاؤل والتضحية ومعرفة الأدوار، والاحترام المتبادل، وإيجاد جوٍّ من المودَّة والرحمة والحبِّ، وهذا ما لا تقدِّمه المسلسلات السطحية، التي يقبل عليها الناس، لاسيَّما الشباب والشابات منهم.

☆ ☆ ☆

الوقفة السابعة:

العبث بالتناسُل

التناسُل نعمة من نعم الله تعالى على خلقه، وفيه حفظ للحياة، وامتداد للعيش على هذه البسيطة. وينفق الناس الكثير من الجهد والمال والتفكير، إذا ما تبيَّن لهم أنهم غير قادرين على الإنجاب: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(الشورى ٤٩-٥٠).

في النفس البشرية الرغبة في الحصول على بنت، إذا كانت الأمُّ تنجب بنين: ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾، (من الآية ٤٩ من سورة الشورى). وفي النفس الرغبة في الحصول على ابن، إذا كانت الأمُّ تنجب بنات: ؟﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾، (من الآية ٤٩ من سورة الشورى). ويشعر الأبوان بالسعادة إذا ما أنجبا بناتٍ وبنين: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾. (من الآية ٥٠ من سورة الشورى).

في بعض المجتمعات برزت ظاهرة استئجار الأرحام، في سبيل الحصول على النسل، فتُستأجر امرأة، تحمل للزوجين، Surrogate Mother، ويتابعانها مدَّة الحمل، وقد تنقلب عليهما في النهاية، وتطالب بالاحتفاظ بما في رحمها، بعد أن تعيش هذه

التجربة، ولذا لجؤوا، في بعض الحالات إلى أمِّ الزوجة، تحمل من زوج ابنتها، دون اتصال جنسي مباشر، حتى يضمن الزوجان عدم تغيير الحامل رأيها، وقرارها حفظ الجنين تحت رعايتها.

المعلوم عندنا، من منطلق انتمائي، أنَّ هذا غير جائز شرْعًا، ومثله شراء الأطفال أو تبنِّيهم: **آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ (الأحزاب ٥).

نحن نعلم، الآن، أنَّ العالم الغربي يعاني من قلَّة السُكَّان، رغم صغر المساحة، وكثرة الموارد، وأن هناك فجوةً زمنيةً عمْريةً، تكاد تصل إلى جيل بكاملة، بحيث أصبحت تلك المجتمعات مقسَّمةً بين كبار السن وصغار السن، وصغار السن أقلُّ بكثير من أنْ يأخذوا دورهم في بناء تلك البقعة الغنية من العالم. ولذا نجد حكماءهم وعلماء الأنثروبولوجيا والديموجرافيا منهم ينادون بحلول جذرية لتدارك هذا الفناء البطيء. وهذا سيؤثِّر على تلك البلاد في أوروبا وأمريكا الشمالية، على وجه الخصوص.[1] بما في ذلك هاجس أن تكثر الهجرات من الدول النامية، دول الجنوب، فتكون هي الأكثرية، على

(١) انظر: باتريك ج. بوكانن. موت الغرب: **أثر شيخوخة السكَّان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب/** نقله إلى العربية محمَّد محمود التوبة؛ راجعه محمَّد بن حامد الأحمري- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م- ٥٢٩ ص.

حساب أهل البلاد الأصليين، مع ما يتبع ذلك من تغيُّرات ديموغرافية وثقافية. ولذا زادت الدعوة إلى وجود حوافز للتكاثُر، وخفتت الدعوات، في الغرب، إلى تحديد النسل. وهي قوية في الدول النامية.

الدعوة إلى تحديد النسل تحتاج إلى وقفات انتمائية منقادة إلى الحكم الشرعي، بعيداً عن التبعية والتأثُّر بغيرنا، لمجرَّد أنَّهم يملكون، الآن، مقوِّمات التأثير على الناس. ولعلمائنا تفصيلاتٌ في هذا الجانب، كما أنَّهم قادرون على النظر إلى هذه المسألة، من منطلق عَقَدي، مربوط بحكمة الله تعالى، وتدبيره لهذا الكون، في الماضي والحاضر والمستقبل.

كما يملك العلماء، علماء الشرع والأنثروبولوجيا، والاجتماع والتربية وغيرهم، القدرة على التوعية بهذا الشأن، مؤكِّدين على الاتِّكال على الله تعالى، جاعلين إرادة الناس نابعةً من إرادة الله تعالى ومشيئته، وليست موازيةً لها، زعمًا لا حقيقةً، وبالتالي ليست متعالية عليها، مع التطلُّع إلى الوصول إلى الحكمة من هذا الخالق الحكيم في خلقه، المتمثِّلة، أوَّلاً، في عبادة الله تعالى، ثم تأتي بعد ذلك عمارة الأرض، والاستمتاع بالحياة، في الحدود الشرعية التي تكفُل استمتاعًا مقبولا، متماشيًا مع الفطرة، ومن ذلك التناسُل والتكاثُر، والأولى لنا جميعًا أنْ ننظر لهذه النعمة من هذا المنطلق.

الوقفة الثامنة:

العبث بتقنية الجنين

ظهر في الهند قرارٌ بمنع استخدام أجهزة الأشعَّة فوق الصوتية، التي تكشف على الحامل من النساء، وتدلُّ على طبيعة الجنين، من حيث الجنس، ذكرًا كان أم أنثى. والسبب في المنع، على ما قيل، هو أنه إذا ظهر على الجهاز أن الجنين أنثى عمدت الأمُّ، أو زوجُها، أو أهلُها، إلى إسقاط الجنين بالإجهاض.

نقلت وكالة رويترز للأنباء (الجمعة ٢٤/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٦/ ١٢/ ٢٠٠٦م) عن صندوق الأمم المتَّحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف) أنَّ حوالي عشرة ملايين (١٠,٠٠٠,٠٠٠) طفلة تعرَّضن للإجهاض أو الوأد خلال العشرين سنة الماضية، بمعدَّل خمس مئة ألف (٥٠٠,٠٠٠) طفلة سنويًا. وأنَّ نسبة مواليد الإناث في الهند تقلُّ سبعة آلاف عن المتوسِّط العالمي كلَّ يوم.

السبب في إجهاض الجنين الأنثى، على ما قيل، هو أنَّ الأسرة لا تستطيع أن تتحمَّل أعباء هذه الأنثى، عندما تولد، ولا تستطيع تحمُّل الإنفاق عليها عند زواجها، على اعتبار أنها هي المعنية بالمهر، وربَّما التجهيز، فَعُدنا إلى فكرة وأد البنات، ولكن،

الآن، مع مساعدة قويَّة من منجزات الحضارة الحديثة، والتقنية المتقدِّمة.[1]

ليس في هذا اعتراض على منجزات الحضارة الحديثة، ولا على التقنية المتقدِّمة، فهي نتاج العقل البشري، إلا أنَّ نتاج العقل البشري يصطدم، أحيانًا، بمعطيات البيئة الثقافية والاجتماعية، مما يؤكِّد مفهوم التوعية والرقي بالمجتمعات الأخرى، قبل إقحامها في قبول معطيات التقنية الحديثة، أو إقحام التقنية فيها.

ليس الأمر كذلك فقط، بل إنَّ الموضوع يتعلَّق بالنظرة إلى البنات، التي كانت موجودةً من قبل، ولا تزال موجودةً في كثير من المجتمعات، التي لم تصل إلى مستوى الفهم الدقيق للحياة والدنيا، فاتَّكأت على الأسباب، وكانت نظرتُها قاصرةً، قائمةً على تفكير غير دقيق. والنظرة القاصرة والتفكير غير الدقيق تؤدِّي إلى مآسٍ في بناء المجتمع، ومنها هذه المأساة في النظرة إلى البنات.

ولَّد هذا فئات من النساء والرجال نقموا على المجتمع الذي نظر هذه النظرة إلى الأنثى، فسعوا، بوعي أو دون وعي، إلى

(١) انظر: صالح بن عبدالرحمن الحصيِّن. **قضايا بلا حدود** ـ الرياض: المسلم اليوم، ١٤٢٥هـ ـ ص ٦٩.

تصديع الأسر، وإعادة النظر في العلاقات الأسّرية، ضاربين لذلك مثلاً في أنفسهم، بالعزوف عن الزواج، أو الافتراق عن الزوج، إنْ كنَّ متزوِّجات. وحيث إنَّ هناك حاجاتٍ فطريةً، لا تحقَّق إلا بالاتِّصال بين الذكر والأنثى، لجأوا إلى ممارسات تتعارض مع الفطرة، ومع طبيعة الأشياء.

من أوَّل ما يتبادر إلى الذهن، هنا، هو التوكيد على النظرة بعيدة المدى، والتفكير السليم. وهذه تحتاج إلى قوَّة عظمى في إقناع البشر، في عدم الاعتماد على الأسباب، مع مطالبتهم في اتِّخاذها، والاجتهاد في طلبها، دون الاتِّكاء الكامل على العقل هنا.

نظرتنا نحن المسلمين في هذا المجال واضحة؛ لأنَّ القوَّة العظمى واضحة عندنا، وهي هي عند الجميع، وهكذا ينبغي أنْ تكون، تتمثَّل في وجود خالق مدبِّر رازق، لمن هو موجود من الخلائق من البشر وغيرهم، ولمن سيوجد، بعلم الله تعالى، من الخلائق كذلك. وكل هذا بتدبير من الله تعالى، ولا نظر هنا إلى الإشاعات حول إمكانية التحكُّم في نوع الجنين، فهذه تقنيات علمية، لا يقف الدين حيالها موقفًا، بقدر ما تكون بها مصلحة للناس، إذ إنَّ "مقاصد الأحكام مصالح الأنام"، كما يقول الأصوليون من علماء المسلمين.

لا نظر إلى الحالات الخاصّة، التي تنعتق من الفئة الرابعة، حالة العقم، إلى إحدى الفئات الثلاث السابقة، حالات الإنجاب، فهذا كله بإرادة الله تعالى، ثم بالجدِّ في اتخاذ الأسباب، فلا معجزات هنا، ولا تدبيرَ بشريًا، دون البقاء في الإطار العامّ لإرادة الله تعالى وتدبيره. هذا من ناحية نوع الجنين، وما يعتري البعض عندما يعلم أنَّه رُزق، أو سيرزق ببنت، فيظلُّ وجهه مسودًا وهو كظيم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل ٥٨). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾(الزخرف: ١٧) (. فهذا خُلُق جاهليٌّ، دون النظر إلى الزمان، فالقرن الحادي والعشرون يمكن أنْ تكون فيه جاهليَّات كهذه.

أما من ناحية الرزق والتربية والتنشئة فإنَّها مكفولة للإنسان، من حيث ما قدَّره الله تعالى له، فإنْ كان الخوفُ من البنات قائمًا على عدم القدرة على تربيتهن ماديًّا، فإنَّ الله تعالى قد تكفَّل برزق الأهل أوَّلا، ثم رزق الأبناء والبنات، ثانيًا. ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الأنعام: ١٥١). وإنْ كان الخوف قائمًا على خشية

عدم قدرة البنات على السير ماديًّا في الحياة، مع إمكان التربية في وقت الولادة والطفولة، فإنَّ الله تعالى، كذلك، قد تكفَّل برزق الأبناء والبنات، حينما يشبُّون عن الطوق، مع رزق أهلهم معهم. ؟ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١). ولدينا العبارة الفطرية القائمة على قاعدة إيمانية حينما نقول: «رزقهم يأتي معهم».

نحن، هنا، نعني البنين والبنات. وهذا، متى ما كان الاعتقاد فيه قويًا، يحصل عمليًا وماديًّا. أما إذا كان الاعتماد على الأسباب في الرزق، فإنَّ الله تعالى يترك المتَّكل على الأسباب إلى أسبابه، مما يقتضي افتقاره، لأنَّ الأسباب ليست عواملَ رزق، أكثر من كونها أساليبَ ووسائلَ للارتزاق.

من هذا المنطلق يمكن لعلماء الأمَّة وحكمائها النظر إلى التعامُل، وبمنهج الوسط، مع الفورة السكَّانية التي تجتاح العالم، لاسيَّما ما اصطلح على تسميته بالعالم الثالث، المتركِّز في الدول النامية، أو دول الجنوب.

الله تعالى، عمومًا، يرزق من يشاء بغير حساب، ومتى ما كان هذا المفهوم راسخًا في الذهن اعتقادًا، انتفت المخافة من نوع الجنين، وكثرة الأولاد، وما إلى ذلك، مما له علاقة مباشرة بالعيش في هذه الحياة الدنيا.

مع قوَّة الاعتقاد ورسوخه عند من يُرزقون بالبنات، فإن الله تعالى يجعل فيهن بركةً، لوالديهنَّ، صغيرات وكبيرات، قد تفوق بركة الذكور، الذين يكون التعلُّق بهم، أحيانًا، على حساب الإناث. والوقائع الاجتماعية تعين على تقريب هذا المفهوم من الأذهان، وقد تقف بركة الذكور حين الاعتماد على بركتهم، وعلينا أنْ نواجه هذا المفهوم بجدِّية وعمق وإيمان صادق، واتِّكال على الله تعالى في كل شيء، بما في ذلك الإنجاب، والاعتقاد الجازم أنَّ الإناث لسن بأقلَّ بركةً - بإذن الله تعالى - من الذكور، وأنَّهن لا يمكن أنْ يكنَّ عبئًا ماديًّا أو اجتماعيًا، بقدر ما هن لَبِناتٌ لبناء مجتمع حيٍّ نابض.

بقيت مسألة رأي شخصي حول هذه الأجهزة التي قد تكشف عن نوع الجنين، فليس هناك ميلٌ إليها قطعًا، لأنَّ الكشف عن الجنين، من حيثُ جنسُه، قبل ولادته لا يقدِّم ولا يؤخِّر، من حيث نوع الجنين، والانتظار، هنا، ممتع، وفيه تطلُّع إلى سلامة الجنين ووالدته، أكثر من التطلُّع إلى نوع الجنين. وإنما الذي يُحمد لهذه الأجهزة، إذا انتفى الضرر منها، هو قدرتها - بإذن الله تعالى - على متابعة نمو الجنين؛ رغبة في التأكُّد من سلامته الخَلْقية، وإمكان معالجة ما قد ينشأ من معوِّقات لدى الجنين، قبل ولادته.

الرأي، هنا، لا يقف في طريق التقنيَّة الحديثة، بقدر ما يؤكِّد

الغرض، أو الأغراض، التي تُستخدم لها هذه التقنيَّة، بأجهزتها المتطوِّرة. وقد يقال: إنَّه إذا جرَّت التقنيَّة الحديثة إلى مضارَّ، مثل ما يعتقد أنه حاصل الآن في الهند، فإنَّ هناك ما يسوِّغ رفضها، أخذًا بمبدأ درء المفاسد مُقدَّمٌ على جلب المصالح، وهذا أصل من الأصول التي نؤمن بها.

☆ ☆ ☆

الوقفة التاسعة:

العبث بالذَّات جلداً

في الظروف الصعبة التي يمرُّ بها المجتمع المسلم، بأكثريَّته وأقليَّته وجالياته، يكثر ما يسمُّونه اليوم بجلد الذات، على مختلف الصُعُد الإعلامية والدعوية. وما تكاد تسمع، أو تقرأ، موضوعًا حول الوضع القائم إلا وتشعر بهذه اللهجة، تكاد تكون مسيطرةً على الطرح، فإمَّا أنْ نطرح اللومَ كلَّه على ذواتنا، وإمَّا أنْ نبحث عن "شمَّاعة"، نعلِّق عليها كلَّ الظروف الصعبة التي نمرُّ بها.

لدينا من النصوص الحكيمة الكفيلة بتشخيص الوضع من أساسه، يمكن استحضارها لكل حالة على حدة، نستشهد بها، لعلَّها تعيننا على التفهُّم الموضوعي لما نمرُّ به في زمن من الأزمان. ولدينا من شواهد التاريخ ما يجعلنا نستحضرها لنتبيَّن منها ما الذي مرَّت به الأمَّة في حقبة من الحقبات، وما أسباب مرورها بتلك المحن، وهل حقًّا يعيد التاريخ نفسه؟

لدينا مقاييس شرعية قابلة للتمثُّل في كل زمان ومكان، هي معادلات شرعية مؤدَّاها أنَّ القرب من الله تعالى مدعاة للتَّمكين، وأنَّ البعد عن الله تعالى مدعاة للهوان. وكم ردَّدها العاملون بها.

ويبدو أنَّنا نحتاج إلى المزيد من التذكير بها. ولدينا مقوِّمات للعزَّة والمنعة، هي واقعية ومنطقية، وعلمية في الوقت ذاته، يقوم بها علماء فقِهوا في الدين، وفي السياسة، وفي الاقتصاد، وفي الاجتماع، وفي التربية، وفي النفس الإنسانية. يضمُّهم مجمع علمي بأي اسم يُسمَّى به المجمع، ويقرِّر هذا المجمع الموقف ممَّا تمرُّ به الأمَّة من الأحداث والوقائع.

مهما قيل عن العرب إنهم عاطفيون، فإنَّ هذه الأمور المصيرية، التي تغيِّر مجرى التاريخ لا تؤخذ أبدًا بالعاطفة، بالمفهوم الذي يتردَّد دائمًا عن العاطفة، وإنَّما تؤخذ بالمعايير الشرعية، التي لا يدركها إلا الراسخون في العلم، وإنْ لم يكن الأمر كذلك فما الحاجة إلى العلماء؟

لدينا في علاقاتنا مع الآخر تقليد أو تقاليد دبلوماسية، وأعراف دولية، من خلالها تُحلُّ الأمور، وتعالج الأزمات، بعيدًا عن الفورات، وردود الفعل الآنية. وكثيرًا ما صبرت البلاد العربية والإسلامية، وتحمَّلت، ومالت إلى جانب الحكمة في معالجة الأزمات، فنالت المزيد من التقدير والثقل الإقليمي والعالمي. وفي ضوء هذا كلِّه فإنَّ جلد الذات يوهن من العزائم، ويضعف الهمم، ويولِّد الانهزامية، وينزع الثقة من النفس. وقد يصل بنا إلى محذورات شرعية، فيما له علاقة بعقيدة المؤمن، وبقوَّة إيمانه بالله

تعالى، ثم بعزِّ هذا الدين ونصرته، ممن ينصرونه بنصر الله تعالى.

أحسب أننا نمرُّ بأزمة صعبة، وتزداد صعوبةً مع الوقت، وليست، بحال، خانقة، حتى لا ندخل في مفهوم جلد الذات، ولكنها على أيِّ حال صعبة، وسنتجاوزها - بإذن الله تعالى - إلى ما فيه خير للأمَّة عامَّة، وللبلاد خاصة، بعون من الله تعالى، ثم بالنظرة المؤسَّسية للأوضاع ومعالجتها، والتعامُل معها من هذا المنطلق الذي ركَّزت عليه هذه الوقفة. والنظرة المؤسَّسية هذه جمعت بين الثبات والنماء، بين الأصالة والمعاصرة، في النظر إلى الأحداث المحدقة.[1]

على هذا، فإننا مطالبون، منبريًا و إعلاميًا، بالكفِّ عن جلد الذات، والنزوع، بالتالي، إلى النظرة المتعقِّلة التي تعطي هذه الأمَّة قدرها وقيمتها التي هي عليها، وأنَّها أمَّةٌ قامت عزيزةً، وسارت عزيزةً، وستظل على ذلك عزيزةً قويةً مكينةً متمكِّنةً، تنشر الخير، وتحفِّز على الاستقرار، وتبعث في الناس الطمأنينة والأمان، على اعتبار أنها أمَّة هي خير أمَّة أُخرجت للناس، لأنها تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله تعالى. ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

(١) انظر: أكرم ضياء العُمَري. **التراث والمعاصرة**- الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ- ١٤١ ص- (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ١٠).

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وصل جلد الذات ببعض من قومنا إلى حدِّ اليأس أو القنوط، إلى درجة ينبري فيها أحد رموز المسلمين في مؤتمر عام، ويشنِّع بالمسلمين جميعًا، ويصفهم بالرِّعاع، وكأنَّه ليس بينهم علماء وحكماء وطلبة علم، وقيادات تغار على الدين، وتعمل على تثبيته في النفوس، في الوقت الذي يحاول فيه الآخر، من المستشرقين والمنصِّرين والمنافقين، نزع سلطان الدين من النفوس، كما يقول كلٌّ من المستشرق المنصِّر هاملتون جب والمنصِّر المستشرق السموءل"صاموئيل" زويمر.(١)

لا يتوقَّع المسلمون أنْ يتحوَّلوا جميعًا إلى رعاع ودهماء، وإنْ توقَّع المسلمون أنْ يكون بينهم رعاع ودهماء، مثلما بين غيرهم من الخليقة، الذين وجدوا في الزمن الماضي، ويوجدون في الزمن الحاضر، وسيوجدون في الزمن الآتي.

مع هذا، فلم يتحوَّل المسلمون إلى رعاع ودهماء فقط؛ لأن الأمَّة الإسلامية تمرُّ اليوم بمنعطف حرج، أدَّى بالآخر إلى غزو

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. **التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته** - مرجع سابق - ٢٤٨ ص.

بعض بلاد المسلمين؛ لتحريرها من تخلُّفها. وليست كل بلاد المسلمين ترفل بسلاسل التخلُّف، بل إنَّ بلاداً من بلاد المسلمين تحكم بما أنزل الله، وتدعو إلى الحكم بما أنزل الله (المملكة العربية السعودية، نموذجًا)، وتسعى إلى تقديم ما أنزل الله للآخر، على منهج من الوسطية والاعتدال والتسامُح.[1] هذه الثلاثية التي برزت الحاجة إليها بقوة في هذا الزمان مع الذات، ومع الآخر.[2]

إنَّ وسمَ المسلمين بالرعاع إنَّما هو حلقة في سلسلة جلد الذات، وهو من العبث الذي ما فتئنا نسمع عنه ونقرأ، من قِبَل عدد من أولئك الذين دبَّ اليأس في أذهانهم وعقولهم. ولعلهم يتذكَّرون موقف النبي يعقوب عليه السلام عند فقد ولديه؛ ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف ٨٧). و﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر ٥٥-٥٦).

---

(١) انظر: محمَّد بن عبدالقادر هنادي. **تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث ونموذج المملكة العربية السعودية**ـ الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ـ ١٣٤ ص ـ (سلسلة شهادات؛ ٢).

(٢) انظر: رفيق حبيب. **حضارة الوسط: نحو أصولية جديدة**ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ـ ٢٥٩ ص ـ (سلسلة في فقه الحضارة العربية الإسلامية).

الحذر، هنا، مطلوب، وبقوَّة؛ لئلا يظنَّ ظانٌّ أنَّ إيراد هاتين الآيتين فيه تصريح، أو تلميح، إلى رمي الآخرين بالكفر، أو الضلال، في الوقت الذي تدعو فيه هذه الوقفة إلى الوسطية والاعتدال والتسامُح.[1] والحقُّ يقال إنَّنا نتوخَّى الحذر الشديد في إسقاط مدلول الآيات أو الأحاديث على غير معناها المراد بها.

لست إخال عالِمًا من علماء الأمَّة، أطلق عليها لفظ الرِّعاع، يصل به الأمر إلى هذه الدرجة، وإنْ كان هناك مَن يريد أنْ يوصلها إليه، ولكنها أحكام شرعية دقيقة لا تخضع للهوى، وتحتاج إلى الراسخين في العلم، ليقولوا فيها الحكم الشرعي.

المؤمَّل ألاَّ يُسهم المنتمون لهذه الأمَّة في تحقيق أغراض الآخر، بصورة غير مباشرة، حتمًا، وبحسن نية، لاشكَّ فيها، وبدافع من الغيرة على الأمَّة وقدراتها، وبرغبة أكيدة في التغيير إلى الأفضل، إلا أنَّ الوسيلة قد توافق ما يسعى إليه الآخر، من خلال هذا الطرح في جلد الذات، وتثبيط الناس، مما قد يدخل ضمنًا في حديث المصطفى **محمَّد بن عبدالله** ﷺ: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلَكُهم، (أو هو أهلَكَهم)».[2]

---

(١) انظر: شوقي أبو خليل. **التسامُح في الإسلام: المبدأ والتطبيق**- ط ٢ - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨م.- ١٤٣ ص- (سلسلة هذا هو الإسلام؛ ٣). وانظر، أيضًا: عبدالمحسن شعبان. **فقه التسامُح**- بيروت: دار النهار، ٢٠٠٥م.

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول: هلك الناس. حديث رقم: ٤٧٥٥.

السخرية، هنا، أنَّ من وصم المسلمين بالرِّعاع قد أعلى من شأن الآخر بحضوره، حتى لقد قيل: إنَّ المسلمين في هذا الموقف قد خرجوا بحال لا تسُرُّ الصديق، وخرج الآخر بحال عالية.

مهما يكن من أمر، فبقدر ما يكونون قريبين من شرع الله ينتفي عنهم، ومنهم، بأنهم رعاع. وسيظل بين المسلمين مسلمون على علم، وعلى وعي، وعلى دراية، فيهم غيرة على الإسلام والمسلمين، ولديهم رؤية واضحة عن الوضع الذي يعيشونه، ويدركون حكمة الله تعالى في هذا الوضع.

لتلافي هذا العبث في القول، لعل من حقِّ الفرد العادي أنْ يهمس في أذن أشخاص غير عاديين، بعلمهم وفضلهم وسبقهم وحكمتهم، بأنْ يتجنَّبوا الخوض في أمور الأمَّة، في حال مرورهم بظرف نفسي مؤلِم، ليجنِّبوا أنفسَهم، وغيرَهم من المتلقِّين، الوقوع في زلَّة اللسان، التي قد تهوي بالأمَّة في غياهب الظلمة، وهي أمَّة النور، ومن كتابها وسُنَّة نبيِّها **محمَّد بن عبدالله** ﷺ يُستقى النور.

☆ ☆ ☆

الوقفة العاشرة:

العبث بالمظهر

يشدُّ الانتباه ما تطرحه الصحافة عن الشباب، وما يتعرَّضون له، الآن، من تسطيح وتسفيه في حياتهم، ودعوَتُها لذوي الأقلام في الإسهام في معالجة هذه الظاهرة، التي لا تبرز آثارها في القريب العاجل، ولكنَّها ستظهر عندما يتسنَّم هؤلاء الشباب المسؤولية، بعد سنين معدودة.

تنصبُّ هذه الرؤية على فئة من الشباب الذين هيَّأ الله لهم الظروف المادِّية الطيِّبة، التي أسهمت في ضعف شعورهم بالحاجة، ما دام كلُّ شيء مهيأً لهم من المأكل والملبس والمسكن والمركب، ثم مصروف الجيب، ممَّا حدا بهم إلى الاهتمام بأمور سطحية في الفكر والسلوك، أسهمت في هذا التسفيه. ويعينهم على ذلك مغريات جاهزة موجودة بين ظهرانيهم، فأثَّر هذا كله على تحصيلهم العلمي، وأثَّر كذلك على فهمهم للحياة، وما فيها من حاجة إلى الارتقاء.

اكتفى بعضهم بتوفير الكماليات، المتوفِّرة أصلا، فطفِق يبحث عن المزيد، في سباق محموم مع التقليعات العبثية الشبابية، التي

توحي للمتابع بمدى ما وصلت إليه هذه الفئة من الهامشية والنظرة قريبة المدى، بحيث يصعب على الفتى مواجهة المواقف. تكاد تراهم في بعض المناسبات عندما لا تجد فيهم من يضع كلمتين في جملة مفيدة، إذا ما صادف أنْ كان بين الرجال، ولم يتمكَّن من الهرب منهم، قابعًا في مقصورته التي حوت كل مُله من الأجهزة والأشرطة، بما فيه من مضيعةٍ للأوقات والطاقات والآمال والطموحات.

هناك فئة عابثة سطحية ستدفع الثمن غاليًا، وهناك فئة جادَّة مدرِكة لمعنى الحياة، ستكون هي الأمل الذي تتطلَّع إليه الأمَّة، في حمل رسالةٍ تحتاج إلى سواعد الرجال وعقولهم لحملها؛ لأنَّها أمانةٌ ثقيلةٌ، لا يقوى على حملها إلا من أدركها، وأدرك ثقلها. مع قلَّة هؤلاء، بالمقارنة بأولئك، فإن قليلا جادًا من الشباب، تحسُن تربيتهم وتوجيههم، خير عند الله من كثير عابث، سوف يعيش على الهامش، ويكتفي، قسْرًا ودون إرادة منه، بأنْ يعيش عيشة مختلفة، تمامًا، عن عيشته هذه، عندما يتوقَّف عنه الدعم، الذي يتفيَّأ ظلاله هذه الأيام، وهو دعم مصطنع، قائم على قلَّة الحيلة من الوالدين الداعمين.

هناك فئة من الشباب، من الجادِّين الذين تراهم يستغلُّون أوقاتهم بالمفيد. فما أنْ يخرجوا من مدارسهم حتى تراهم بين

أهليهم في فترة راحة لابدَّ منها، ثم يتوجَّهون إلى الاطلاع والقراءة، ومتابعة أمورهم بجدِّية. ترى منهم من يعمل مساءً، ومنهم من يستغلُّ وقته الباقي في أمور منتجة لأهله وله، دون أنْ يعير اللهو انتباهًا أكثر من اللازم، ومع هذا فهو لا يغفل عن رغبته في اللهو البريء المباح الخالي من المضاعفات، التي تُخلِّفها بعض أنواع اللهو، الذي رزئت به الساحة العربية والعالمية هذه الأيام.

كنموذج لذلك، هذا طفل (فتى) في الثانية عشرة من عمره يعلِّق، تعليقًا عابرًا، على الأحداث الأخيرة في المنطقة العربية، لاسيَّما مع بروز فضيحة تعذيب الموقوفين في السجون العراقية، من قبل القوَّات المحتلَّة، ومذبحة قانا الثانية في لبنان: ماذا لو كان الوضع في مسألة التعذيب في سجن أبو غُرَيْب وغيره والغارات على المدنيين عكسيًا، ماذا ستكون ردود أفعال الآخر؟

تعليق هذا الفتى يبرز مدى سعة الاطِّلاع التي يتَّسم بها جيل هذا اليوم، في ضوء ما يحيط بهم من آليات نشر المعلومة، التي لم تعُدْ مقصورةً على من يبحث عنها في الكتب، وأوعية المعلومات التقليدية الأخرى، بل ظهرت أوعية معلومات حديثة، في متناول الفتيان والفتيات، مما أثَّر على نظريات نشر المعلومة، ومحاولات علماء المعلومات إيجاد عناصر مهمَّة تحيط بالمعلومة، أبرزها نظرية عالِم المعلومات الأمريكي **روبرت هَيز من جامعة كاليفورنيا**

في لوس أنجلوس (UCLA) في نهاية التسعينيات الهجرية/ السبعينيات الميلادية، وبداية الأربع مئة الهجَرية، الثمانينيات الميلادية، تلك التي تحوم حول أربعة عناصر مهمة حول المعلومة، هي ملكيتها، وخصوصيتها، وسريِّتها، وأمنها.[1]

إدراك الشباب الصغار، الآن، بفعل أوعية المعلومات الحديثة له أثر على هذه العناصر الأربعة. وإدراك الفتيان والفتيات يتجاوز الاعتراف بأنَّ الكبار قد يكونون أكثر إدراكًا، إذ إنَّ هناك شواهدَ فعليةً، تؤكِّد أنَّ الكبار ممن لم يوفَّقوا في التعامُل مع آلات تقنية المعلومات، متأخِّرون في الحصول على المعلومة، بالمقارنة بأولئك الصغار، الذين لم يمرُّوا بالهيبة (الخوف من التقانة Technopho-bia)، التي صاحبت التعامُل مع أوعية المعلومات الحديثة. ولأنَّها أوعية حديثة فإنَّ مجال الملكية، والسريِّة، والخصوصية، والأمن للمعلومة، أضحت، كلُّها، مجالاً للتجاوز والاختراق بشكل ملحوظ، مما حدا بالعالَم إلى إعلان بعض المبادئ أو القوانين، ذات العلاقة بالملكية الفكرية، وجعل منظمة التجارة العالمية (WTO) تؤكِّد ذلك، من خلال التوقيع على اتفاقية الملكية الفكرية، ضمن متطلبات الانضمام إلى هذه المنظمة.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التجهيزات الأساسية للمعلومات: نظرة عامة. **مكتبة الإدارة**. ع ٢ مج ١٢ (جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير - فبراير ١٩٨٥م). ص ٢٣ - ٣٨.

كنموذج آخر لهذه الفئة من الشباب، اعتقل فتى في ألمانيا، في عمر المراهقة، اعترف، حال القبض عليه، بالعبث من خلال التعامُل مع المعلومات المصرفية من خلال إقحام فيروس، يؤثِّر عليها إلى حدِّ مسح المعلومات. هذا سطو سافر على كل هذه العناصر الأربعة التي قدَّمها روبرت هيز، قبل خمسٍ وعشرين سنة، ذلك الوقت الذي كان الناس يتحدَّثون فيه عن تفجُّر المعلومات، أو ثورة المعلومات، ومن ثمَّ فإنَّ هذا الجيل القادم ستكون له مع المعلومة نظرة تختلف عن جيل سابق، وإنْ كان الجيل السابق قد تعرَّف على تقنية المعلومات، من خلال البطاقات المثقوبة، والأجهزة الضخمة لحفظ المعلومات وتخزينها، الأمر الذي أصبح في حكم التاريخ والتراث المعلوماتي.

هذا الإدراك في هذا الجيل القادم المتعامل مع المعلومة ليس على اعتبار أنَّها ثروة وطنية فحسب، بل على اعتبار أنَّها جزء من الحياة العامّة، مثلها في ذلك مثل الهواء والضوء، هذا الإدراك يستوجب نظرةً معاصرة للتعامُل مع المعلومة، من حيث سرِّيتُها، وملكِّيتُها، وخصوصيِّتُها، وأمنُها، إذ تظل هناك، رغم كل التطوُّرات، حاجةٌ إلى قدر من هذه العناصر الأربعة، لا بدَّ من الإبقاء عليه، على مستوى الأفراد والمجتمعات.

هذا الإدراك من هذا الفتى أوحى بقدر غير قابل للتغافُل في التعامُل مع المعلومة، وضرورة التوكيد على محتوى المعلومة، من حيث المصداقية.

أثار هذه الوقفة سؤالُ هذا الفتى: ماذا لو كان الوضع في مسألة التعذيب في سجن أبو غُرَيْب وغيره والغارات على المدنيِّين عكسيًا، ماذا ستكون ردود أفعال الآخر؟! ولم يكن هذا السؤال، من هذا الفتى، استفهامًا، ولكنَّه سؤال أثار سؤالاً حول مدى إدراك هذا الجيل في التعاطي مع المعلومة.

☆ ☆ ☆

الوقفة الحادية عشرة:

العَبَث الخَلْقي

يستمرُّ مسلسل العبث في حياة الإنسان، اليوم، ليصل إلى المساس بالمظهر الخَلْقي. وقد تعارفت الحضارات على أنَّ الزينة بالجواهر والحُلي هي ألصق بالنساء منها بالرجال، وجاءت الأديان السماوية تحرِّم على الرجال صنوفًا من الزينة، هي للنساء حلال. ومن ذلك الأقراط والخروص والخماخم والمجاول والأزمَّة (ما يعلَّق في طرف الأنف)، وغيرها ممَّا قد يكون له مصطلح محلِّي غير قابل للتعميم، من حيث اللفظُ، لا من حيث المفهومُ. ورأينا في بعض الحضارات مبالغات لدى النساء في لبس الحُلي تصل إلى الإنكار الذوقي، لاسميَّا ما يُعلّق في الآذان أو الأنوف أو العضود أو السيقان.

يتسلَّل العبث إلى هذا المفهوم لنجد شبابًا قد تمثَّلوا أمورًا كانت، ولا تزال، من خصوصيات النساء. فهل هذا يعني احتجاجًا من هؤلاء الرجال على دخول بعض النساء في خصوصيات الرجال؟ مما يُعدُّ، بحدِّ ذاته، نوعًا من العبث؟ بل إنَّ العبث في هذا المجال كاد أنْ يشمل الجسم كله، ولم تسلم منه الحواجب والشفاه، مما يدخل في مفهوم تشويه خلق الله تعالى. ربَّما قيل إنَّه نمط من أنماط التعبير

التي سادت مجتمعات، تعاني فراغًا روحيًا، كما كانت عليه الحال في الثمانينات الهجرية، الستينات الميلادية، عندما ظهرت مجموعات من الشباب أطالت شعورها، ولبست الضيِّق، وسلكت سلوكيات هي في ذاتها خارجة عن النمط الاجتماعي السائد.

يتحدَّث الأستاذ **عبدالله الناصر**، الملحق الثقافي السعودي في لندن، في زاويته الأسبوعية بالفصيح في صحيفة الرياض عن فئة من الشباب اليوم: «أولئك الشبَّان الذين لا عملَ لهم، ولا همَّ، ولا جدوى منهم، ولا فائدةَ فيهم إلاَّ أنْ يؤذوا خلق الله دون حياء، أو أدب أو سلوك. تراهم في الشوارع لا همَّ لهم إلاَّ إيذاء الخلق والاستعراض بمظاهر الأبَّهة والصلف واحتقار الآخرين ... وترى البعض منهم هائمين على الأرصفة، قد أسدلوا شعورهم، وفتحوا صدورهم، وارتدوا ألبسة هي أبعد ما تكون عن التناسُب أو الذوق السليم، لهم لغة ذات مصطلحات خاصَّة، وثقافة هابطة خاصَّة، وسلوك أبعد ما يكون عن الإحساس بالمسؤولية وفهم رسالة الحياة، والتعامُل مع الآخر بإنسانية راقية، يسيرون في الأرض مرحًا، وينظرون إلى غيرهم بازدراء واحتقار، وكأنَّ الآخرين ناقصو البشرية والإنسانية».[1]

(١) انظر: عبد الله الناصر. بالفصيح: جنَّة الحمير- **الرياض**- ع ١٤٠٦٧ (٩/١٢/١٤٢٧هـ- ٢٩/١٢/٢٠٠٦م)- ص الأخيرة.

قد يُقال إنَّ هذه التصرُّفاتِ أمورٌ شكلية، ولكنها مع شكليتها إلا أنَّها تعبِّر، أولاً، عن مكنون في النفس، قد ننظر إليه نحن على أنَّه مؤشِّر من مؤشِّرات الفراغ الروحي وضعف الاستقرار النفسي والاجتماعي، ثم إنَّه، ثانيًا، مدعاة للتقليد في مجتمعات لا تعاني من الفراغ الروحي، ولديها استقرار نفسي واجتماعي ظاهر، لكن يخرج منها فئة من المقلِّدين والمقلِّدات الذين يرغبون في الخروج عن المألوف، حتى لو ترتَّب على ذلك محظور شرعي، وذلك بفعل ضعف التنبيه على ذلك، وأنَّه ليس ظاهرة، وأنَّه غير مقبول. وهو منكر لا بُدَّ من النهي عنه.

مع هذا كله يكون هناك نوع من التغافُل عنه وعن إنكاره من الجهات المناط بها الإنكار، مما قد يتطوَّر لدى بعض أبناء المجتمع ليروه داخلاً في الحرِّية الشخصية، التي لا ينبغي أنْ تُمسَّ، وما إلى ذلك من النظرات المثالية، التي تعطي الفرد قدرًا من الوعي والشعور بالمسؤولية، وكأنَّه ليس هناك أناس يُسحبون إلى الجنَّة بالسلاسل، ولنتصوَّر هذا المشهد في أذهاننا، حينما نرى أشخاصًا مسلسلين، وهناك من يسحبونهم، ليُدخلوهم إلى الجنَّة، وكأنَّهم غير مدركين نتيجة هذا الإجراء.

إنَّ هناك حالاتٍ من العبث في خلق الله، تأخذ أشكالاً متعدِّدة، ولكنها تخرج عن المفهوم الشرعي للمظهر المطلوب في

الرجال والنساء، وليس في فئة دون أخرى. والمطلوب وقفة توعوية ووعظية وإعلامية وفكرية لبيان هذا النوع من العبث في خلق الله تعالى.

إنَّ العبث بخلق الله لم يقتصر على هذه الأمور الشكلية القابلة للزوال بفعل الزمن، كما زالت تقليعات الثمانينات الهجرية، الستينات الميلادية، بل إنِّنا نرى ذلك متبنىً من بعض (النجوم) الذين لهم تأثير على الناشئة الذين يتأثَّرون اليوم، في غالبهم، بالرياضيين والفنَّانين، من مطربين وممثِّلين ومطربات وممثِّلات، الذين ملأوا الجوَّ العام، على حساب من ينبغي التأثُّر بهم من الجادِّين في بناء ذواتهم وأوطانهم. وأتحدَّث هنا ليس على المستوى المحلي، حتى لا يغضب علينا بعض إخواننا الذين قد يتوهَّمون أنَّهم معنيون بهذا الطرح، وفيهم مَن هو بخير وعلى خير، بل إنِّي أتحدَّث على المستوى العالمي، الذي وصل فيه بعضُ النجوم إلى هجرهم أديانهم، إلى ملل ونِحل تعبُد الأوثان، بل ربَّما تحوَّلوا إلى عبادة الشيطان.

☆ ☆ ☆

الوقفة الثانية عشرة:

العبث بالثروة

مئتان وخمسة وعشرون مليون ريال خصَّصتها امرأة غنيَّة، في الخامسة والسبعين من عمرها، للعناية بالقردة "كالو" ذات الخمسة عشر ربيعًا، وإخوتها من القردة والكلاب، التي جمعتها هذه السيدة، في مزرعتها، في جنوب إفريقيا، وهي ليست جنوب إفريقية، ولكنها من بقايا رعايا الاحتلال السابق. هذا المبلغ مخصَّص لهذه الحيوانات الأليفة، بعد أنْ تُتوفَّى السيِّدة الغنية. وهي تعيش مع زوجها، لكنَّها تنام مع ستة من صغار القردة في سرير واحد، لأنَّه يتعيَّن عليها إرضاعها في الليل.

يبدو من الخبر أنَّ هذه السيدة الكبيرة لم ترزق، ربَّما بإرادتها، بأولاد، فاهتمَّت بهذه الحيوانات، بديلا عن الأولاد. وتذكر، كما يقول الخبر، أنَّ زوجها يتفهَّم هذه العناية، وإنْ كان لا يحتفظ لهذه الحيوانات بأيِّ ودٍّ أو حنان، رغم أنَّ زوجته الثرية قد تركت له بيتًا من البيوت الثمانية، الموجودة في المزرعة، فيما لو رحلت قبله.

لم يذكر الخبر عن هذا المبلغ (٢٢٥,٠٠٠,٠٠٠) ريال هل هو جلُّ ثروتها، أم أنَّه جزء من ثروتها، وما نسبته من ثروتها. ومهما

يكن من أمر، فالمرأة مصمِّمة على هذا الإجراء. ويبدو أنَّها قد حصلت على الوثائق التي تثبت عزمها على تخصيص هذا المبلغ لهذا الجمع من الحيوانات، وعلى رأسها العزيزة لديها "كالو"، القردة الأليفة.

يمكن للواحد منا أنْ ينطلق في التعليق متوخِّيًا الحكمة، مُظهرًا، عقليًا، عدم القبول بهذا الإجراء، ولكنه لن ينطلق في هذه الحروف القصيرة، لأنَّ التعليق أحيانًا يفسد العبرة من الخبر، ولأنَّ القارئ الذي اطَّلع على هذا الخبر على قدر من الوعي والحصافة، بحيث يغني الوعي عن المزيد من التعليق.

ليس هذا هو الإجراء الأوحد في توريث الحيوانات الأليفة وغير الأليفة، ولم يكن الأوَّل، ولن يكون الأخير. وفي قارَّة يوجد فيها قدرُ هذا المبلغ من بني آدم، هم دون الحدِّ الأدنى من الفقر، يمكن لهذا المبلغ أنْ يفعل معهم فعائل، قد ترقى بهم إلى درجة واحدة، على الأقل، فوق الحدِّ الأدنى من خطِّ الفقر. الخبر لم يقل إنَّ هذه المرأة الغنية قد دفعت ضعف هذا المبلغ، أو قدره، للعناية ببني آدم، من القارَّة الأفريقية، أو غيرها من القارَّات.

عندما يتحدَّث المرء عن الخصوصية لبعض المجتمعات فإنَّه يعني، مما يعنيه، أنَّ هذا الفعل لا يحدث في مجتمع له خصوصيته في فهم الحياة، والتعامُل معها، والتعامُل مع الأحياء

والجمادات فيها. وترى هذه الخصوصية المنتمية أنَّ في هذا الإجراء من هذه السيدة ومثيلاتها وأمثالها إنَّما هو خلل في الموازين والأولويات، يؤدِّي إلى نتائج لا تعود على البشرية بخير.

إذا كان هذا الخبر يستحقُّ النشر لما فيه من غرابة، فهناك وجوه كثيرة ينفق عليها الموسرون على حساب احتياجات لبني جنسهم، ولكنَّهم يتردَّدون كثيرًا، عندما يطلب منهم مباشرة، أو بطريق غير مباشر توجيه شيء من الخير الذي اؤتمنوا عليه إلى مصارفَ كفيلة - بإذن الله تعالى - أنْ تزيد من هذا الخير لديهم، تراهم يتردَّدون كثيرًا، بسبب من هذا الخلل في الموازين.

نحن، هنا، نتشبَّث بالخصوصية القائمة على مبادئ ثابتة في فهم الحياة، وتدعو هذا الوقفة إلى المزيد من التشبُّث في هذا التوجُّه، الذي نراه نحن متعقِّلا، وإنْ رآه غيرنا متحفِّظًا.[1]

☆ ☆ ☆

(١) انظر في مناقشة مفهوم الخصوصية: علي بن إبراهيم النملة. **السعوديون والخصوصية الدافعة: الإصرار على التميُّز في زمن العولمة** - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م- ٢٨٥ ص.

الوقفة الثالثة عشرة:

العبث بالمركبة

نعمةٌ من نعم الله تعالى على خلقه هي نعمة الطمأنينة والاستقرار. وهي مسؤولية مشتركة بين الدولة ومواطنيها، والمقيمين فيها. الدولة تسعى، ومواطنوها يتجاوبون. هي تبحث عن السبل الكفيلة بتحقيق الاستقرار في النفوس، والمواطنون والمقيمون يدركون هذا السعي، ويتفاعلون معه إيجابًا. ونعمة من نعم الله تعالى على خلقه هي نعمة المواصلات، التي مرَّت بمراحل عديدة معروفة، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم، حيث يتدخَّل عامل السرعة في الوصول إلى النقطة المراد الوصول إليها، سخَّرها الله تعالى لعباده، وما كانوا لها مُقرنين.

السيارة نعمة، هكذا ننظر إليها. هي وسيلة نقل مريحة وسريعة في زمن السرعة، وإنما وُجِدت لذلك، وليس لغير ذلك، وأيُّ شيء خلاف ذلك هو من العبث، ومن العبث ما قتل!

النفوس غالية، صعبٌ أن يقتلَها العبث، ومن أودَى بنفسه إلى التهلُكة فحريٌّ به ألا يودِي بالآخرين من حوله إلى التهلُكة.

والسيارة/الوسيلة عندما يُساء استخدامها لا تفرِّق بين من أودَى بنفسه، ومن أُودي به إلى التهلُكة.

مع الحفاظ على هذه النعمة التي تغبطنا عليها الأمم السابقة، لو علمت بما وصلنا إليه، وربَّما تغبطنا عليه الأمم اللاحقة، عندما تعلم بما وصلنا إليه، فإنه من الملائم جدًا تشديد العقوبة على من يسيء استخدام هذه النعمة، بالحرمان الوقتي منها، لا من ركوبها، فهذا غير وارد، ولكنه يحرم من قيادتها، باستخدام أسلوب النقاط، التي تعطى على كلِّ مخالفة، بحيث إذا وصلت إلى الحدِّ الأعلى عُلِّقت رخصة القيادة لمدَّة كافية للاعتبار. مع تشديد العقوبة في التغريم بالمال، والذي لا يملك المال ليغرَم، لا يخالف ليغرَم. والذي يملك المال ليس من حقِّه أنْ يخالف، ولو قدر على دفع الغرامة.

إنَّه ربَّما كان من جَحْد النعمة إساءةُ استخدامِها، ويكفي أنْ يتصوَّر الواحد منا أنْ يحرم من هذه النعمة، قيادة وركوبًا، ماذا ستكون الحال عليه؟

إنَّ علماءنا الأفاضل قد تفاعلوا مع هذه النعمة، وأعطوها حقَّها من التقدير، على أنَّها وسيلة، سخَّرها الله لعباده، وهم يؤثِّمون من يفرِّط في استخدامها، من حيث النزوعُ إلى السرعة، أو مخالفةُ أنظمة السير، التي سنَّتها نظم السير في الدولة، فيما

تتماشى حكمته مع أحكام الشريعة الإسلامية، وليس في نظام المرور ما يخالف الشرع، بل إنَّه مطلب شرعي، قبل أنْ يكون مطلبًا مدنيًا. ولذلك نجد أنَّ الشرع، والقوانين الأخرى، يجرِّم القاتل بالسير، بحسب الحالة التي حصل بها القتل، على ما هو معلوم لدى الفقهاء والفقهاء القضاة.

إنَّه لمن شكر النعمة هذه، وهي من نعم الله تعالى التي لا تُحصى، أنْ نخدمها كما هي تخدمنا، وأنْ نستخدمها الاستخدام الذي صنعت من أجله، وأنْ نسعى إلى الابتعاد عن أي مؤثِّر يحرفها عن طبيعتها التي صنعت لها.

فلا معنى لسباقات السيارات القاتلة، ولا معنى للأفلام التي تجعل من المطاردات في الشوارع عادةً لها. ولا معنى للأشرطة الكرتونية الموجَّهة للأطفال والشبَّان، التي تجعل من المتسابقين أبطالا كالفاتحين. ولا معنى، كذلك لترك، السيارة دون تفقُّد دوري رسمي مؤهَّل (الفحص)، يكفُل سلامتها في سيرها، وقدرتها على أداء وظيفتها.

لا معنى، أبدًا، للإخلال بأيٍّ متطلَّب من متطلَّبات السلامة فيها، مما يحقِّق، في النهاية، الاستقرارَ لدى الناس، ويشعرهم بمتعة القيادة وركوب السيارة داخل المدينة وخارجها، بدلا من أنْ

يتحوَّل ذلك كله إلى حالة من الاستنفار للذهن، والنظر، والأعصاب؛ توخِّيًا للسلامة، واتِّخاذًا لأسبابها. وفوق ذلك كلَّه توفيق الله تعالى، المقرون بفعل الأسباب، التي هي من متطلَّبات شكر هذه النعمة، التي نحن بأمسِّ الحاجة إلى إدراكها.

الوقفة الرابعة عشرة:

العبث بالسلاح

جرت عادات بعض المجتمعات الصغيرة، المبنيَّة على أسس قبليَّة، أنْ يحمل أبناؤها السلاح، بأيِّ شكل من أشكاله. ولا تزال بعض المجتمعات ترى أنَّه من الوجاهة أنْ يحمل المرء فيها خِنجرًا، قيمته تصل إلى مئات الآلاف من الريالات. وبعضٌ آخر منها يحمل أفرادُها مسدَّسًا يسير فيه، ويتأكَّد هذا في المناسبات.

كان هذا شائعًا، في وقت كان الأمن فيه متخلخلا، فاحتاج الأبناء إلى حماية أنفسهم بحمل السلاح. أمَا وقد تكفَّلت الدولة بحماية المواطنين والمقيمين فيها على حدٍّ سواء، فإنَّ هذه العادة أو التقليد لم يبقَ له مسوِّغٌ بحال. ومن كفالة الدولة للحماية الأمنية ضُبطت أمور اقتناء السلاح وحمله.[1]

يظهر علينا بين الفينة والأخرى خبر مقتل أحد الأبرياء، بسبب التعامُل مع السلاح، إمَّا بالتنظيف، أو بالتفقُّد، أو بالمزاح بين الأصدقاء. ولعل هذا الإجراء الذي يقوم به بعض من يقتنون

---

(١) انظر: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. **الأمن في حياة الناس وأهميَّته في الإسلام**- الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م- ١٣٣ ص.

السلاح يدخل في مفهوم أنْ يُلقي الإنسان بنفسه إلى التهلُكة، التي ينهى عنها الشرع الحكيم بالآية الكريمة الصريحة: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة ١٩٥).

ربَّما يتساوى هذا الإجراء مع أولئك الذين يتهوَّرون في قيادة السيارات، فيقعون في حوادثَ مميتة لهم، وللعابرين الأبرياء الآخرين، راكبين أو راجلين. فهل من الممكن اتِّخاذ أيِّ ضابط، أو تنظيم، أو توجيه، أو أيِّ إجراء توعوي، يحدُّ من هذه الحوادث المؤسفة، حتى لأولئك الذين يسمح لهم النظام باقتناء السلاح أو حمله، بحكم أنَّ طبيعة عملهم تسمح بحملِ السلاح، مثل رجال الأمن أنفسهم، مع الأخذ بالحسبان الحذر الذاتي المطلوب؟

إنَّه لمن المؤلم أنْ تذهب الأرواح نتيجة العبث بالنار المهلكة، بأيِّ شكل من أشكال العبث، وأنْ تمتدَّ هذه المصيبة للأهل والأولاد، فتثكل الأمَّهات، وتترمَّل الزوجات، ويتيتَّم الأولاد. كل هذا نتيجة لقدْر من التهاون. وكلُّ شيء، على أيِّ حال، بقدر الله تعالى، ولا تعارُض مع هذا الاعتقاد، وإيجاد السبل والوسائل التي تُقلِّص من هذه الحالات المفجعة.

أُهيب بخطباء الجوامع، وكُتَّاب الصحافة، وفرسان الفضائيات، أنْ يولوا هذه الحالات اهتمامًا تستحقِّه، ويُزاد من

الاهتمام في أماكن دون أخرى. فالتوعية مطلوبة من الخطباء والكُتَّاب، كما هي مطلوبة من القنوات الأخرى المؤثِّرة في المجتمع، سعيًا إلى التقليص من هذا التقليد الاجتماعي، الذي تضاءلت الحاجة إليه، بحكم مسؤولية الدولة في توفير الأمن.[1]

☆ ☆ ☆

(١) تنصُّ المادَّة السادسة والثلاثون من نظام الحكم الأساسي، في المملكة العربية السعودية، على الآتي: «توفِّر الدولة الأمن لجميع مواطنيها والمقيمين على إقليمها، ولا يجوز تقييد تصرُّفات أحد، أو توقيفه، أو حبسه، إلا بموجب أحكام النظام». وتماثلها في المفهوم موادٌ في الدساتير الحديثة للدول.

الوقفة الخامسة عشرة:

العبث بالفُرَص

يا ما جنى العنادُ على الناس، ويا ما تصدَّعت بيوت، بعد أنْ قطعت شوطًا بعيدًا في البناء، كان ثمرتها بنين وبنات. لكن يحصل موقف تعانَدَ عليه الطرفان، فكان الفراق. ويا ما فقد شخص فرصةً ذهبية، سنحت له في عمله، أو في تجارته، فعاند فيها، فودَّعته الفرصة، غير آسفة على وداعه، والفُرَص لا تتكرَّر.

أعرف زميلاً كان، ولا يزال، طاقةً فاعلة، كان موهوبًا، وكان من الممكن أنْ يتسلَّم مواقعَ مهمَّةً علميًا، ثم إداريًا. تعاند في بداية مشواره العلمي والعملي مع رئيسه المباشر، وركب رأسَه، ووضع نفسه في صفِّ رئيسه، بل ربَّما أنَّه رأى في نفسه أكثر من رئيسه، فأعطى ذاته مكانة أكثر مما هو واقعها. وكانت نتيجتها أنْ انتقل من هذه المنشأة العلمية إلى منشأة إدارية فنية، بعد أنْ تبيَّن ألاَّ مقام له فيها، ففقد فرصة الترقِّي العلمي، الذي قلَّ أنْ يناله إلا الموهوبون.

لكنَّ زميلي هذا كانت له وجهة نظر أخرى، أطاحت به من هذا المجال العلمي، فذهب يبحث عن مجال آخر، وكأنه يمنُّ على

تلك المؤسسة العلمية الفرعية، بما لديه من طاقات علمية وثقافية وفكرية. وكان، ولا يزال، لديه طاقات علمية وثقافية وفكرية. صاحبي هذا الذي ألْمتُ له كثيرًا، وألْمت لموقفه، وكأنَّه يتمثَّل قولَ الشاعر العربي:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَىً أَضَاعُوا

لِيُومٍ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ

الواقع أنَّ هذه المنشأة التعليمية لم تفقد صاحبي؛ لأنَّها أحلَّت محلَّه من هو في مستواه، أو ربما فوق مستواه، علمًا وخُلُقًا، و"مشى أمرُها"، ولم تأسف على خروجه منها، ولم يتمثَّل هو بعد ذلك بقول الشاعر العربي الآخر:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمُ

وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفتَقَدُ البَدْرُ

لم تكن لهذه المنشأة، في هذا المساق ليلةٌ ظلماءُ، بل إنَّ لياليها كانت تغصُّ بالبدور، وهجها متفاوت، ولكنها مجتمعة تضيء سماء المنشأة. إنَّه العناد الذي أفقد صاحبي فرصة لا تعوَّض.

على أيِّ حال، ضربتُ مثلا بصاحبي هذا، الذي تنقَّل بعد ذلك إلى أكثر من جهة، كان قلقًا في جميعها، مجابهًا رؤساءه في

جميعها، مصادمًا لهم، متمسِّكًا برأيه دائمًا، ففوَّت على نفسه فرصًا تُعزى إلى إصراره على العناد.

هناك أمثلة أخرى، ومواقف متعدِّدة، تُثبت، على المستويات كافَّة، أنَّ الأمور تتفاقم وتصل إلى حدود صعبة جدًّا، بسبب عناد بين الطرفين أو أكثر. وسيظل العناد، كما الغرور، صخرةً تتحطَّم عليها مشروعات قائمة، وآمال وطموحات، وسيظل العناد، كما الغرور، سببًا من أسباب الشقاء، على المستوى الفردي والأسْري، وأبعد من ذلك من المستويات. والسعيد منَّا من لم يتَّصف بالعناد، ومن لا يلقي له بالاً كثيرًا، بل ويُكثر من التروِّي وإبداء بعض التنازُلات التي، دائمًا، تعود بالمصلحة على الأطراف المعنية وتحقِّق المراد، ولو على المدى البعيد.

لا يتَّفق العناد مع التنازُلات، ولا تتمُّ جميع الأمور على الوجه المراد لها إلا بالتنازُلات من الطرفين، لا من طرف واحد فقط، إذ يلتقيان، أو يلتقون في منتصف الطريق. ولعلَّ في صلح الحديبية من العبر والدروس ما يغني عن المزيد من إيضاح الفرق بين العناد ونقيضه؛ إذ إنَّ التنازُلات التي أبداها رسول الهدى ﷺ كانت ممهِّدةً لنصر من الله تعالى وفتح قريب، رغم أنَّ بعض الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا "مرتاحين" للوهلة الأولى من هذه التنازُلات.

الوقفة السادسة عشرة:

العبث بالزمن

صدر كتابٌ يحمل عنوان: **حمَّى سنة ٢٠٠٠** لمؤلِّفه **عبدالعزيز مصطفى**، من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض.[١] والكتاب في صفحاته، التي تعدَّت المئتين وخمسين صفحة، هو تحليل عميق، بأسلوب رقيق، للخلفيات الدينية لهذا التأريخ، لاسيَّما الجانب اليهودي الذي كان يخطِّط لعام ٢٠٠٠م من مدَّة ليست قصيرة، بدأت مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري، واستمرَّت طيلة القرن العشرين الميلادي، الرابع عشر الهجري.[٢] بدأت بتوقُّعات **تيودور هرتزل** سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، وانتهت بقيام كيان وطن قومي لليهود في **فلسطين** المحتلَّة سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨.

الكتاب جولة تاريخية موثَّقة بالمحاولات الجادَّة لقيام هذا الكيان، رغم التحوُّل في الحكم بين حزبين رئيسيين، في الدولة

(١) عبدالعزيز مصطفى. **حمَّى سنة ٢٠٠٠**. لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٧م- ٢٦٢ ص.

(٢) أحمد يونس. **المسلمون الأمريكيون: أقسم بالله أن أقول الحقَّ**/ ترجمة نشأت جعفر- القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- ٦٤ ص.

العبرية، بين العمل والليكود، ثمَّ حزب ثالث هو خليط بين الحزبين، التقيا لمصلحة الكيان.

برهن الكتاب حتى الصفحة المئة والثمانين، أنَّ الحزبين يختلفان في الأساليب والوسائل، ويتَّفقان في الأهداف، وهي تحقيق قيام دولة قوية، تمتدُّ من الفرات إلى النيل، استجابةً لما تمليه **التوراة** بأسفارها المختلفة، **والتلمود**، من مسؤولية اليهود في كل مكان وزمان، في إقامة هذا الكيان.

يعرِّج الكتاب على تمكين اليهود من الحصول على دعم بعض النصارى، لاسيَّما البروتستانت منهم، لقيام الدولة اليهودية على أرض **فلسطين** المحتلَّة، رغم ما تلقاه الأماكن المقدَّسة لدى النصارى من تدنيس وتحدٍّ من اليهود أنفسهم، ولذا فلا غرابةَ أنْ تجد هذه المعاملة معارضاتٍ من نصارى **فلسطين** المحتلَّة، وبعض النصارى الآخرين، الذين لا يتبنَّون البروتستانتية، التي يلمِّح الكتاب إلى أنَّ نشأتها إنَّما قامت من أجل اليهود.[1] ويؤكِّده محمَّد جلاء إدريس، في كتابه: العلاقات الحضارية.[2]

---

(١) انظر في ذلك: خليل حسن جابر. **بنو إسرائيل والإفساد الأول والثاني والثالث ونهايتهم على أيدي أصحاب مملكة المسلمين الأبدية** ـ ط ٢ ـ بيروت: دار المحجَّة البيضاء، ٢٠٠٣م ـ ص ٨٥ ـ ٩٠.

(٢) انظر: محمد جلاء إدريس. **العلاقات الحضارية** ـ دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ص ٥٠ ـ ٥٤.

يعالج الكتاب مسالة إقامة أو إعادة بناء هيكل سليمان الذي يزعم اليهود أنه تحت المسجد الأقصى، ويبيِّن الاستعدادات العلمية في تجهيز الحجارة والمجسَّمات الذهبية، خارج الحدود، ونقلها وإخفائها في الصحراء الجنوبية لأرض فلسطين المحتلَّة (صحراء النقب)، ومن ثمَّ الإكثار من الحفريات والأنفاق، والتضييق على المسلمين في دخول المسجد الأقصى.[1] وممارسات عدَّة، نتابعها يوميًا في الأخبار العربية والعالمية.[2] ولعلَّ من آخرها ما تردَّد في الإعلام اليهودي نفسه من احتمال قيام بعض المتطرِّفين اليهود، في فلسطين المحتلَّة، بالهجوم الجوِّي، ربَّما بطائرة دون طيَّار، على المسجد الأقصى، وقبَّة الصخرة.

مع أنَّ الكتاب، حمَّى سنة ٢٠٠٠، قد ركَّز على جهود اليهود في توطيد مُقامِهم في فلسطين المحتلَّة، بحيث أصبح الأمر كأنه واقعٌ وحقيقة، اعترف بها كثير من العرب والمسلمين، إلا أنه لم يركِّز كثيراً على البعد الديني النصراني لعام ٢٠٠٠ ميلادية، لاسيَّما فيما يتعلَّق بالتنصير، الذي يعتقد بعض الناس أنَّه قد خَفَت، ومصيره إلى الزوال، بينما نجد أنَّ الجزء الشرقي من

(١) انظر: عبدالعزيز مصطفى. حمى سنة ٢٠٠٠ ـ مرجع سابق ـ ٢٦٢ ص.

(٢) انظر: عبدالعزيز مصطفى. حمى سنة ٢٠٠٠ ـ المرجع السابق ـ ٢٦٢ ص.

تيمور في إندونيسيا إنَّما هو نتيجة لخطّة قامت، مؤدَّاها السعي إلى تنصير إندونيسيا كلها مع حلول عام ٢٠٠٠ ميلادية، ١٤٢٠هـ.

إنْ لم يتحقَّق الهدف كلُّه، لمناعة المسلمين بعقيدتهم الصافية، فقد تحقَّق جزء منه، وما لا يدرك جُلُّه لا يترك كُلُّه. وها نحن نسمع عن الرغبات المتكرِّرة للاستقلال، أو لإقامة الحكم الذاتي في مقاطعات أخرى، من هذه البلاد التي تؤوي أكثر المسلمين فيها. والمعلوم أنَّ هذه الرغبة كانت لدى **البابا** الراحل في **الفاتيكان** منذ مدَّة.

يأتي هذا الصوت الخافت، غير المقبول لدى بعض المنبهرين بنهاية قرن، وحلول قرن آخر من الزمان، وما يتبع ذلك من تحوُّلات في الاقتصاد والسياسة والمجتمع، إذ إنَّ الناس، الآن، مشغولون بترديد عبارات، أضحت مألوفةً، حول دخول العالم الألفيةَ الثالثة.

يأتي هذا الصوت الذي يذكِّر بضرورة التأنِّي، وعدم الانسياق لهذا الطرح الإعلامي، المنقول، حرفيًّا، من جهات يهمُّها أنْ ينتقل العالم إلى العناية بهذا التاريخ، ولو على حساب أصالتهم وتاريخهم وتراثهم، وبالتالي معتقداتهم ومُثُلهم التي ساروا عليها مئات السنين. وبالتالي الإقرار بأنَّنا نعيش في قرية كونية، تساوت فيها المُثُل والمبادئ والمعتقدات، الأمر الذي لا يبدو أنَّه حاصل، ولن

يحصل، فلم يحصل من قبل، رغم اختلاف السبل والوسائل، ورغم صعوبة السير ضدَّ التيار.

لا ننسى أنَّ هناك اختلافًا بين النصارى أنفسهم في التاريخ نفسه، إذ إنَّ ميلاد المسيح **عيسى بن مريم** - عليهما السلام - عند المحقِّقين من المؤرِّخين سبق التأريخ له بأربع سنين. وتختلف الكنائس الشرقية عن الغربية في يوم الميلاد نفسه، ولكن هذا كله لن يغيِّر من الأمر شيئًا. فقد اتَّجه الناس إلى الاحتفال بحلول عام (٢٠٠٠م) بوعي عند بعضهم، ودون وعي عند كثير منهم.

ذكرت في موقع آخر، من كتاب: **الالتفاف على الاستشراق**[١] أنَّه ساد وهمٌ بين بعض أتباع الكنيسة أنَّه «خلال عام ١٩٩٩م، وفي منتصفه، ستقع أحداثٌ كونية كبرى، ستهزُّ البشرية كلها، من خلال انفجارات نووية، أو سقوط نيازك، مما سيؤدِّي إلى القضاء على ثلاثة أرباع الحياة البشرية. وتجسَّد هذا الهاجس حول نهاية العالم الفعلية، بصورة متطرِّفة جدًا، من خلال ما وقع في يوغندة يوم الجمعة ١١/ ١٢/ ١٤٢٠هـ الموافق ١٧/ ٣/ ٢٠٠٠م، حيث قامت طائفة من طوائف المسيحيين «بتفجير الكنيسة وإحراقها، في انتحار جماعي، وصل عدد ضحاياه إلى ٥٣٠ قتيلاً، بما فيهم

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. **الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح**. الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م- ١٨٢ ص.

٧٨ طفلاً. وكان من بين المنتحرين زعيم الطائفة الكنسية كيبويتر واثنان من معاونيه».[١]

الذين يحتفلون بوعي لخلفية التاريخ يحيون حلول الألفية الثالثة في بيت لحم في فلسطين المحتلَّة، ويجتمع فيها ملايين من المحتفلين، قيل إنَّهم مليون ونصف، وقيل إنَّهم وصلوا إلى ستة ملايين نسمة، ويقودهم البابا، ومعه بعض رؤساء الدول الأوربية والأمريكية، بمن فيهم الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسن، الذي ينطلق من خلفية شيوعية، بدأت تضمحلُّ، وتحلُّ الديانات السابقة عليها محلَّها، في المجتمع الروسي الأرثوذكسي والمسلم واليهودي.

الكتاب، حمَّى سنة ٢٠٠٠، جديرٌ بالقراءة والتأمُّل، لأنَّه سعى إلى تأصيل مسألة الانتقال من ألف ميلادية إلى ألف ميلادية أخرى.[٢] وقد غاص في خلفية التاريخ هذا، وحلَّل الموقف اليهودي والنصراني من وراء ترقُّب حلول عام ٢٠٠٠ ميلادية. وهو مليء بالحقائق الموثَّقة، ويدلُّ على قدرة على التتبُّع والتحليل، وإنْ بدت عليه بعض الهنات في الصياغة واللغة، والرغبة في السرعة في إخراج الكتاب، قبل حلول عام ٢٠٠٠م.

---

(١) انظر: إلياس بلكا. عقائد «نهاية العالم» في الفكر الغربي- التسامُح- ع ٨ (خريف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م- ص ٢٥٣ - ٢٦٠. والنصُّ من ص ٢٥٨.

(٢) انظر: عبدالعزيز مصطفى. حمى سنة ٢٠٠٠- مرجع سابق- ٢٦٢ ص.

قد يرى بعض القرَّاء فيه نزوعًا إلى التوثيق الإعلامي. ولكنَّنا هنا لسنا نقوِّم الكتاب بمناقشة علمية بحتة، إلا أنَّ الكتاب إضافةٌ طيِّبةٌ مؤصَّلةٌ في النظر إلى حلول ما يسمُّونه الآن بالألفية الثالثة، في خضم الإنتاج الفكري التابع لهذا الهلع، الذي كاد يصيب كثيرًا من الناس قبل حلول العام الجديد.

هنا إشارة صغيرة جدًا لم يتوقَّف الكتاب عندها كثيرًا، ولكني رغبت في ذكرها، وكنت سأذكرها، قبل أن أصل إليها في الكتاب، فكان الوصول إليها مؤكِّدًا على ذكرها. وهي أنَّ سنة ٢٠٠٠ ميلادية هي السنة المكمِّلة للألف الثانية، وليست هي بداية الألف الثالثة الميلادية، فالألف الثالثة الميلادية تبدأ سنة ٢٠٠١م. وقد سبق التطرُّق لهذا المفهوم عندما حلَّ علينا نحن المسلمين القرن الخامس عشر، وتعرَّضتُ له في وقفة في حينها، ولكنَّه لم يغيِّر من الأمر شيئًا.

☆ ☆ ☆

الوقفة السابعة عشرة:

العبث بتقنية المعلومات

ممَّا يؤيِّد الانجراف نحو الألفية الميلادية الثالثة، بدءًا بعام ٢٠٠٠م، نُظُم الحاسب الآلي وبرامجه التي كلَّفت العالم، كما يقول صاحب كتاب حمَّى سنة ٢٠٠٠، أكثر من ست مئة وخمسة وخمسين مليار (٦٥٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار، وأن الولايات المتحدة نفسها قد خسرت مئتين وستة وسبعين مليار (٢٧٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار في سبيل تطويع البرامج للرقم الجديد، في التاريخ الميلادي المعتمد في الحاسوبات. وقد تكون هذه المبالغ مبالغًا فيها، إذ إنَّها مبالغُ ليست باليسيرة. ولكنَّها ذُكرت على أيِّ حال في الصحف والدوريات.

بدأ الناس، هناك، يصابون بالهلع الذي قد يصل إلى حدِّ قتل النفس، التي حرَّم الله إلا بالحقِّ، ناهيك عن الأمراض النفسية، والمشكلات الاجتماعية، ذلك أنَّ حلول الألفية الثالثة يحمل اعتقادًا لدى المتديِّنين، من اليهود والنصارى على حدٍّ سواء، بأنَّها نهاية العالم،[1] ونزول المسيح **عيسى بن مريم** - عليهما السلام -

(١) انظر في نهاية التاريخ: فرانسيس فوكوياما. **نهاية الإنسان: عواقب الثورة البيوتكنولوجية/** =

الذي يعتقد النصارى بعودته، وكذلك اليهود، والمسلمون أيضًا، ولكن لكل اعتقاد من الثلاثة وجهته.[1]

أمَّا نحن المسلمين فإنَّنا نعتقد أنَّ **عيسى بن مريم** - عليهما السلام - سينزل، ويملأ الأرض عدلاً، بعد أنْ تمتلئَ جورًا،[2] ولكننا لا نملك تحديد ذلك بالسنة، أو العقد من السنين، أو القرن، فإنَّ ذلك يظلُّ في علم الغيب،[3] مع أنَّ لدينا علامات تُفضي إلى ذلك، هي داخلة في علامات الساعة الكبرى، وقبلها علاماتها الصغرى.[4] وفي الوقت ذاته تستمرُّ عمارة الأرض، والاستخلاف عليها، وتستمرُّ الجهود في بيان الحقِّ، والدعوة إلى اتِّباعه.[5]

= ترجمة أحمد مستجير - القاهرة: سطور، ٢٠٠٢م.. ٣٠٤ ص. وفرانسيس فوكوياما. نهاية التاريخ/ ترجمة حسين الشيخ - بيروت: دار العلوم العربية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م- ٢٨٠ ص. وجان - ماري جيهينو. **نهاية الديموقراطية**/ ترجمة حليم طوسون - القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٥م- ١٢٠ ص.

(١) صبري أحمد موسى. نبوءات **نهاية العالم بين الأديان السماوية والواقع العلمي المعاصر: دراسة دينية مقارنة في اليهودية والمسيحية والعقيدة الإسلامية** - القاهرة: دار البشير، ١٩٩٨م- ٢٤٠ ص.

(٢) انظر: علي سكيف. **نهاية التاريخ في الفكر الإسلامي الحديث**- دمشق: الأوائل، ٢٠٠٤م- ٢٧٧ ص.

(٣) انظر: مصطفى مراد. **نهاية العالم**- القاهرة: دار الفجر للتراث، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- ٣١٢ ص.

(٤) انظر: منصور عبدالحكيم. **نهاية العالم وأشراط الساعة**- دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م- ٢٦٢ ص.

(٥) انظر: مراد هوفمان. **الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود** - القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م- ٢٧٦ ص.

هذا من ناحية دينية، أمَّا من الناحية الحاسوبية، فكان هناك هلعٌ على مستوى عالٍ في العالم، خوفًا من عدم قدرة الآلية التي يسيِّرها الحاسوب على التأقلُم مع الرقم الجديد. وهذا موضوع مطروق عالميًا، لا مجال للتوسُّع فيه.

لم تسلم من هذا الهلع تحرُّكات الناس، ليلة الواحد من يناير لسنة ٢٠٠٠م، بما في ذلك السفر جوًا، إذ كان هناك تخوُّف من تعطُّل المركبات لحظة الانتقال من سنة إلى أخرى، أو، كما زعموا، من قرن إلى آخر. وكانت هناك نصائح تُسدى للمسافرين بتجنُّب أنْ يكونوا على سفرٍ تلك اللحظات!

تأتي هذه الخواطر امتدادًا لهمٍّ يقضي باحتمالية نهاية العالم عند الانتهاء من الألفية الميلادية الثانية.[1] إلا أنَّنا لا ندع هذا مجالا للاجتهادات الشخصية، غير المبنية على العلم الشرعي، المشتقِّ من نصوص الكتاب والسنة، ونهجر الإسرائيليات من الأخبار، التي وقع فيها بعض من المفسِّرين، وتبعهم فيها بعض المؤرِّخين، رصدًا لها في كتب التفسير والتاريخ، لا إيمانًا بها.

(١) انظر في تقويم القرن الميلادي الماضي، والتطلُّع لقرن جديد: القرن العشرون بين اليأس والأمل- ص ١٢٧ - ١٦٧.

في: شريف الشوباشي. **نهاية التفكير**- القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠١م- ١٨٤ ص- (سلسلة مكتبة الأسرة).

عليه، فإنَّه مما يستحقُّ الإعجاب قول أحد المعنيين أنَّ الخروج من قرن والدخول في قرن آخر إنما هو، تمامًا، مثل الخروج من يوم والدخول في يوم آخر جديد. إلا أنَّ الخروج من قرن إلى آخر إنَّما يتحقَّق في ذلك اليوم الأخير من السنة الميلادية ٢٠٠٠م، المكمِّلة للألفية الثانية، إلى اليوم الجديد ٢٠٠١م، وهي انطلاقة الألفية الثالثة، بمعنى أنَّنا لا نرى أنَّ هناك تغيُّرًا في نواميس الكون، سيطرأ في تلك الساعات.

لن يتحوَّل العالم من حال سابقة إلى حال لاحقة مختلفة، تمامًا وجذريًا، عن الحال التي كانوا عليها قبل يوم واحد. وإنما هو الإعلام، وبعض الطروحات الفكرية التي انقادت إلى الخلفية الدينية لهذا التحوُّل، تلك الخلفية الدينية المبنيَّة على معلومات غير موثَّقة في الديانتين اليهودية والنصرانية/المسيحية، بفعل التحريف الذي طرأ عليهما، من قبل إنْ ينزَّل القرآن الكريم على نبينا محمَّد بن عبدالله (، ولا يزال يطرأ عليهما إلى يومنا هذا، على اختلاف في مدى التحريف، فلِمَ ننساقُ إلى هذا كله، ما دام أنَّ الأمر قد مرَّ كما تمرُّ الأيام والليالي؟ وما عدا ذلك فهو من باب التصنُّع، ليس إلا.

من الصعب الإقناع بهذه الفكرة لغير المسلمين، وربَّما اقتنع غيرهم معهم، ممن لا يدينون باليهودية والنصرانية/المسيحية،

فلا يكون للانتقال عندهم خلفيةٌ ثقافيةٌ، إلا أنَّ هؤلاء أقربُ إلى الاقتناع؛ لقربهم من الخرافة.

المرجو، في هذا الموقف، أن تكون نظرتنا لهذا الزَّخم كلِّه منطلقةً من عقيدة صافية، تدرك تداول الأيام بين الناس، وأنَّ الوقت يمضي، بسنينه وعقوده وقرونه، كما مضى من قبل مولد المسيح **عيسى بن مريم** - عليهما السلام - ومن بعد مولده عليه السلام. وأن سُنَّة الله تعالى في الكون ماضيةٌ في أنْ يكون لهذه الحياة نهاية، تكون بعدها حياة أخرى، لها طابع آخر مختلف، تمامًا، عما نحن عليه الآن، إذ إنَّها ستكون حياةً نجني بها ما عملناه في هذه الدنيا، إنْ خيرًا فخيرًا، وإنْ شرًا فشرًا. ورحمة الله واسعة، وفضله عظيم.

فيما عدا هذا الهلع المبني على التغيير الرقمي للحاسوبات، الذي ينبغي علينا أخذ حسابه، فإنَّنا مؤمنون بأنَّ الانتقال يمرُّ - بإذن الله تعالى - بسلام، لا اختلافَ ولا تغيير، إلا فيما يجنيه المرء في يومه السابق، وما ينوي أنْ يعمله في يومه اللاحق، وهكذا كان: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ (آل عمران ١٤٠).

☆ ☆ ☆

الوقفة الثامنة عشرة:

العبث بالديمُقراطية

يتنازع الولايات المتحدِّة الأمريكية حزبان متناقضان في النظرة إلى القضايا الاجتماعية، في الداخل والخارج. فالحزب الجمهوري أقرب إلى العقل في هذه النظرة، والحزب الديمقراطي أقرب إلى العاطفة، في النظرة إليها، أو هكذا يبدو. والذي يريد تعبيرًا علميًا قد يقول: إنَّ الحزب الديمقراطي أقرب إلى التحرُّرية في النظرة إلى القضايا الاجتماعية. والذي يريد تعبيرًا هجوميًا قد يقول: إنَّ الحزب الديمقراطي هو أقرب من الحزب الجمهوري إلى الإباحية، في النظرة إلى القضايا الاجتماعية.

فالحزب الديموقراطي، مثلاً، لا يقف في وجه الشذوذ الجنسي، بين الرجال من جهة، وبين النساء من جهة، ويعدُّ ذلك من الحرِّيات الشخصية، بحيث لم يعُدْ يعبَّر عنه بأنه شذوذ، بل إنه الحياة بين المثلين! وهو لا يقف في وجه رغبة المرأة/أو الفتاة في التخلُّص من الجنين بالإجهاض، إذا كانت لا ترغب فيه، ولكنه يريد السعي إلى تنظيم هذه العملية، بحيث تمارَس في جوٍّ

حضاري صحّي. وهو كذلك لا يعارض عيش الرجل مع المرأة تحت سقف واحد، دون أنْ تكتب بينهما وثيقة زواج، تسوِّغ العيش تحت سقف واحد.

هذه النظرة الأخيرة قائمة، الآن، على أيِّ حال، حَكَم الحزب الجمهوري أم الحزب الديمقراطي، لكن الجمهوريَّ لا يقرُّها في مبادئه، وإنْ لم يستطع الحيلولة دون قيامها على الواقع... وهكذا. ليس هذا دفاعًا عن الحزب الجمهوري على حساب الحزب الديمقراطي، فكلاهما حزبان لا ننتمي إليهما، إلا أنَّ المشكلة، هنا، تكمُن في الرغبة في تصدير أفكار الحزب الديمقراطي الأمريكي، والأحزاب الديمقراطية الأخرى، في أوروبَّا بالذات، التي تطبِّق الديمقراطية، بالقدر الذي لا يخلُّ بالثقافة الغربية، التي هي أقربُ ما تكون اجتماعيًا إلى العبث بطبيعة الإنسان والأشياء.[1]

أمَّا الدول الأخرى، التي تزعم أنها تتبنَّى الديمقراطية، فهي تؤمن بالديمقراطية القسرية. وهاتان كلمتان لا توصف إحداهما بالأخرى، فليس هناك ديمقراطية قسرية، وليس هناك قسر ديمقراطي. وتصدير الأفكار الديمقراطية ينهج أسلوب القسرية، في فرض قبولها لدى الآخرين، على حساب ثقافاتهم، التي

(١) انظر: عبدالرزاق عيد ومحمَّد عبدالجبار. **الديمقراطية بين العَلمانية والإسلام**- بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م- ٢٦٤ ص.

تخاطب العقل أوَّلاً، وتسعى إلى بناء المجتمع، ولو على حساب الرغبات الفردية غير الموجَّهة توجيهًا سليمًا.[1]

المشكلة، هنا، تكمُن، أيضًا، في أنَّ هيئة الأمم المتحدة، بمنظمَّاتها المختلفة، تميل ميلا قويًّا إلى فرض تجربة الديمقراطية، من حيث منظورها الاجتماعي، على البلاد الأخرى، بحُجَّة أنَّ هذه التجربة هي التي تعين على التغلُّب على مشكلات كثيرة، ومنها النموُّ السكَّاني.[2]

لا تملك هيئة الأمم المتَّحدة أنْ تنتقد، مثلاً، رمي المحصولات الزراعية من قِبَل الأمم المتحضِّرة في البحر، على حساب الشعوب الجائعة الفقيرة. ولا تملك كذلك أنْ تنتقد الإنفاق الهائل على الحيوانات الأليفة، على حساب الشعوب الجائعة، كذلك.[3]

الأصل أنَّ الهيئة تعبِّر عن جميع الدول الأعضاء فيها، ولا تعبِّر عن بعض الدول الأعضاء فيها، ولكنَّ هذا الأصل، على ما يبدو، مغيَّبٌ عن الواقع، ولذا قدَّمت الأمم المتحدة الوثيقة التي

---

(١) انظر: السيد يسين. **الإمبراطورية الكونية: الصراع ضد الهيمنة الأمريكية** ـ القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٤م ـ ٣٢٠ ص.

(٢) انظر: عصمت سيف الدولة. **الاستبداد الديموقراطي** ـ بيروت: دار الكلمة، ١٩٨١م ـ ١٦٩ ص. حيث يعالج المؤلف في هذا الكتاب كلاً من الاستبداد المتخلِّف، والاستبداد المتحضِّر، والاستبداد الديموقراطي.

(٣) انظر جان ـ ماري جيهينو. **نهاية الديموقراطية** ـ مرجع سابق ـ ١٢٠ ص.

عبَّرت عن التجربة الغربية في النظرة إلى السكَّان، والعلاقات الاجتماعية، والأسْرية بينهم، بل إنَّ هناك فئات في المجتمع الغربي وقفت وقفاتٍ قويَّةً وواضحةً، بعيدةً عن الاعتذارية والتملُّق والاستحياء في وجه الوثيقة، وأعلنتها صراحة أنَّ الوثيقة لا تعبِّر عن المطلوب، عقلا، ممَّا يوحي بأنها جاءت تدبيرًا لا يهدُف إلى البناء، وإنْ اتَّخذ من مشكلةٍ قائمةٍ شعارًا له.

هذا يدعو إلى التفتيش عن العقول، التي عملت على صياغة الوثيقة، من حيث منطلقاتُها وانتماءاتُها الفكرية، بعد أنْ تبيَّنت بعضُ أهدافها. هل نملك إنْ نقول: إنَّ هناك مؤامرةً على الجنس البشري، دبَّرها بعض أبناء هذا الجنس البشري؟ الذي نملك أنْ نقوله، باعتقاد جازم، إنَّ هناك شرًّا يقوده أشخاص وجماعات، وأنَّ هذا الشرَّ يصارع الخير، ويحاول أنْ يحلَّ محلَّه. والشرُّ لا يسري بذاته، بل هو بحاجة إلى من يسري به، وأنَّ هذا الصراع قائم مستمرٌّ. وطغيان الشرِّ، في حالات، لا يعني طغيانه في كلِّ الحالات.[1]

(١) انظر في مناقشة نظرية المؤامرة، من حيث نفيُ وجودها: جلال أمين. **عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١**ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤مـ ص ٩. وانظر أيضًا: عثمان العثمان. نقد نظرية المؤامرة في تفسير الهزائم القومية والإسلامية ـ دمشق: المؤلف، ٢٠٠٣مـ ٣١٨ ص.

الذي يظهر كذلك أن هيئة الأمم المتَّحدة لا تعبِّر عن ثقافات أعضائها جميعهم، بل تسعى إلى فرض ثقافة واحدة، هي ثقافة القوي في الوقت الحاضر، وهي ممثَّلة تمثيلا دقيقًا في مبادئ الديمقراطية في الولايات المتَّحدة الأمريكية، ثم في بعض البلاد الأوروبِّية التي أضحت مختطفة من قبل النموذج الأمريكي. على هذا فإنَّ مصداقية الأمم المتَّحدة تتعرَّض باستمرار إلى الاهتزاز ما دام هذا هو توجُّهها.[1]

☆ ☆ ☆

(١) انظر في مناقشة نظرية المؤامرة، من حيث إثباتُ وجودها: محمَّد إبراهيم بسيوني. المؤامرة الكبرى: مخطَّط تقسيم الوطن العربي من بعد العراق ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م ـ ١٨٤ ص. وانظر أيضًا: محمَّد عبدالحليم عبدالفتَّاح. **سرُّ المؤامرة الكبرى: التهويد والتنصير قادم، غرور العقل البشري وتحدِّي الإله** ـ (القاهرة: المؤلِّف)، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤/م ـ ١١٢ ص. وانظر، كذلك: مكرم محمَّد أحمد. **مؤامرة أم مراجعة: حوار مع قادة التطرُّف في سجن العقرب** ـ ط ٢ ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ٢٠٠٣/م. ـ ٢٤٠ ص.

الوقفة التاسعة عشرة:

العبث اليهودي

سلَّمت رأسي إلى حلاَّق في مدينة كليفلاند بولاية أوهايو بالولايات المتَّحدة الأمريكية. لم يكن الحلاَّق ثرثارًا ولكنه كان دمثًا، ينهي مهمَّته بمهارة، ويقرنها بما تحبُّ أنْ تسمع. لاحظ عليّ أنِّي غريب، فأطلق سؤالاً، طالما سمعناه في كل مناسبة: من أين أنت؟ فأجبته بأني من **المملكة العربية السعودية**. فقال بشيء من المرح الذي لا تخلو نبراته من الحسد: نعم أنت من أرض النفط! ففتح هذا لي مجالاً أنْ أضعه حيث يستحقُّ، وأوقفه عند حدِّه ولكن بهدوء. لكنه سارعني معتذرًا قائلاً: هكذا يقال عنكم كلَّما ذُكرتم، لكني أنا الحلاَّق، هنا، أعرف عنكم غير ذلك مع ذلك. فأنتم أصحاب تراث وتاريخ وعلوم وثقافة. وهذا المجتمع، في نوعية من حضارته، امتدادٌ لحضارتكم، لكنَّه أخذ من حضارتكم العلم البحت والتقنية، ولم يقرنه بالروح، فبدا عليه الضياع والعبث. شعرت أنِّي أهتزُّ طربًا نشوانَ ممَّا يقول هذا الحلاَّق، في وقت تُتَّهم فيه هذه الفئة من بني الغرب بضيق الأفق.

في هذه الأثناء دخل رجل بدا عليه وكأنه تاجر البندقية في هيئته ونظراته وتأبُّطه حقيبته، فحيَّا الحلاَّق تحيَّةً أوحت لي

أنَّه يعرفه من قبل، فردَّ عليه حلاَّقنا تحيَّته بشيء من الفتور، فذكَّره تاجر البندقية بعرضٍ سبق أنْ قدَّمه له، وحلاَّقنا يحاول التخلُّص منه بالحُسنى، وذاك يصرُّ في العرض، عليه حتى ضاق به الحلاَّق ذرعًا، وأخيرًا طلب تاجر البندقية، أو تاجر كليفلاند، من الحلاَّق الاتصال به للتفاوض أكثر فيما بعد، فانصرف غير مأسوف عليه.

لم يكن يهمُّني أمر الرجل، لكنَّ إلحاحه في الطلب والعرض على الحلاَّق لفت انتباهي. وقبل أنْ أبادر بالاستنكار تأفَّف الحلاَّق، وقال: قاتل الله اليهود! فزاد شعوري بالاهتزاز وأنا على كرسي الحلاَّق طربًا نشوانَ مما يقول، فهذه بادرة أخرى لم أكن أتوقَّعها من عامَّة الناس، يصرِّحون بها ضد الجشع والابتزاز اليهودي، لاسيَّما في هذه البقعة الكبيرة من العالم الجديد، فهم، وإنْ كانوا يناصبونهم العداء حقًا، إلا أنَّهم، بحكم التعاليم، يحاولون كتمان ذلك، على غير أصحابهم والمقرَّبين منهم.

لكن صاحبنا هذا فتح لي صفحات من تاريخ العبث اليهودي بالمجتمع الأمريكي. عبث يبدو من ظاهره أنَّه إسهام في حضارة الإنسان، ولكنَّه، في النهاية، محاولة لتطبيق البروتوكولات التي تعاهدوا عليها، ومنها محاولة السيطرة على العالم، علميًا وحضاريًا وطبيًا وفنِّيًا. وبدا لي وكأنَّ حلاَّق كليفلاند يقرأ عليَّ

الكتاب بروتوكولات حكماء صهيون، ويذكِّرني بفقراته فقرةً فقرة، وكنت قد مررت عليه زمنًا طويلاً مضى.[1]

يقول لي الرجل: إنَّ اليهود بهذا المجتمع يحتلُّون حوالي خمسين بالمائة (٥٠٪) من المجالات الجادَّة في الحياة الغربية، فتجد خمسين بالمائة (٥٠٪) من الأطبَّاء والعلماء والمفكِّرين والأدباء والفنيِّين والفنَّانين من اليهود، ولكنك لا تجد حوالي ٥٪ منهم في المجالات الهازلة العابثة، كالتسكُّع والتشرُّد في الشوارع، ومتابعة تقليعات الشباب، التي طغت في الستينيات الميلادية، وإنْ كانوا هم الذين يغذُّونها من وراء حجاب.

إذا نظرنا إلى عدد اليهود الذين يعيشون في الولايات المتَّحدة وجدناه لا يكاد يتجاوز الأربعة ملايين (٤,٠٠٠,٠٠٠) نسمة في البلاد التي يكاد يزيد عدد سكَّانها على مئتين وخمسة وتسعين مليون (٢٩٥، ٧٣٤، ١٣٤) نسمة، حسب إحصائية عام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، أي أنَّ نسبة اليهود لا تكاد تصل إلى اثنين بالمئة (٢٪) من عدد السكَّان. إذا نظرنا إلى هذه الأرقام ربَّما تبادر إلى أذهاننا أنَّ تأثير اليهود البالغ ٥٠٪ على الجوانب الجادَّة في الحياة الأمريكية يكاد يكون مبالغًا فيه نوعًا ما. فالتأثير معروف لدى

(١) انظر: عجاج نويهض. **بروتوكولات حكماء صهيون: نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية** - ط ٣ - بيروت: دار الاستقلال، ١٩٩٠م - ٦٤٤ ص.

الجميع، لكن موضع النقاش في النسبة، ولو كانت هذه النسبة منصبَّة على الجانب الاقتصادي، لكان الأمر ميسورَ التصديق.[1]

ثم إنَّ عدد اليهود في العالم لا يكاد يصل إلى ثلاثة عشر مليون (١٣,٠٩٣,٠٠٠) نسمة، أي أنَّ نسبتهم عالميًا لا تتجاوز (٠,٠٠٣٪) من مجموع سكَّان العالم، الذي يربو اليوم على الستَّة مليارات (٦،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) نسمة، وعددهم هذا لا يوحي بعظم تأثيرهم على أيِّ مجتمع، وذلك لضآلة عددهم وعدم تقبُّل الكثيرين لهم. ومن سمات اليهود الديموجرافية أنهم يتناقصون، بحيث يتوقَّع معهد اليهودية المعاصرة التابع للجامعة العبرية بالقدس أنْ يصل عددهم سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م إلى ثلاثة عشر مليون وأربع مئة وثمانية وعشرين ألف (١٣،٤٢٨،٠٠٠) نسمة فقط، حتَّى بدأ الحديث عن "موت الشعب اليهودي".[2]

يذكر بعض النقَّاد أنَّ التوكيد على تأثير اليهود على أيِّ مجتمع يعطيهم أكثرَ مما يستحقُّون، وأنَّ هذا التأثير إنما جاء

(١) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. **موسوعة اليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد** ـ ٨ مج ـ القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م. وقد اختصرها المؤلِّف في جزأين، ونشرتها دار الشروق بالقاهرة في طبعتها الثانية سنة ٢٠٠٥م.

(٢) انظر الفصل الثالث: إشكالية الإحصاءات ـ ص ٤١ ـ ٥٦.

في: عبدالوهَّاب المسيري. **الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتَّى انتفاضة الأقصى** ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠١م ـ ١٨٤ ص ـ (سلسلة اقرأ؛ ٦٦١).

لفترة من الزمن، حاولوا فيها استدرار عطف الناس بما روَّجوه من مذابح جرت لهم، أيَّام الحرب العالمية الثانية على يد النازيين، الذين لا يزال اليهود يلاحقونهم في كل مكان، لاسيَّما في أوروبَّا والأمريكتين الشمالية والجنوبية.[1]

كما يؤكِّد هؤلاء النقَّاد على أنَّ الاعتراف بهذا التأثير له نتائجه غير المرغوبة في حياة الشعوب، لاسيَّما منها ما كان لها مساس مباشر بقضايا لليهود، في الوقت الراهن، كقضية فلسطين، وأنَّ إسباغ هذه "الهالة" عليهم، والتهويل من أمرهم فيه مدعاة للوهن والاستسلام، والاعتراف بأساطير يردِّدونها، تدور حول أنَّهم لا يُقهرون.

أمام هذين الرأيين، رأي حلاَّق كليفلاند ورأي المحلِّلين المتابعين، يقف المرء وهو في حيرة من أنْ يصل إلى رؤية صحيحة، يعتمد عليها، فرأي حلاَّق كليفلاند ملموس هناك، ويتضايق الكثيرون من أمثال حلاَّق كليفلاند من وجود اليهود، بل إنَّ الوثائق الموروثة أشارت إلى أنَّ **بنجامين فرانكلين**، أحد مؤسِّسي الولايات المتَّحدة كتب وثيقةً يحذِّر فيها من السماح لهجرة اليهود إلى الدنيا الجديدة؛ لأنَّه إنْ أُتيحت لهم الهجرة «فسنصبح لهم زرَّاعًا

(١) انظر: المركز العالمي للدراسات الإستراتيجية. **تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست**ـ ط ٢ ـ الرياض: المركز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م ـ ٩٨ ص.

وصناعًا وعاملين، ونترك لهم المجال أنْ يجنوا ما نزرع فنصبح لهم مستعبدين»، كما تشير الوثيقة، ومثل هذه الوثيقة كلام أُثر عن جورج واشنطون، أبو أمريكا، كما يسمُّونه، فقد حذَّر من هجرة اليهود إلى أمريكا.

الواقع يشير إلى أنَّ هجرة اليهود إلى أمريكا لم يُسمح بها إلا في بداية القرن الميلادي العشرين. وكانوا قبل ذلك يُمنعون من دخول الولايات المتَّحدة. وفي هذا دلالة على أنَّ لهم تأثيرًا ما، بغضِّ النظر عن نسبة التأثير. ولهم تأثير كذلك على الجوانب الجادَّة في الحياة الأمريكية والغربية والشرقية عن طريق الماسونية على حدٍّ سواء، ليس في المجالات السياسية والاقتصادية فحسب، ولكن في المجالات الاجتماعية، التي ذُكرت آنفًا.[1]

☆ ☆ ☆

(١) عبدالوهَّاب المسيري. **اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدَّامة والسريَّة**. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م. ٣٢٨ ص. (سلسلة مكتبة الأسرة).

الوقفة العشرون

العبث بالأذهان

قابلت مرَّةً الدكتور **محمَّد المهدي** رئيس جمعية الصداقة العربية الأمريكية عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، في مطار هيثرو بلندن، وكنت مكبًّا، وزميل الرحلة العلمية الصديق العزيز الدكتور/ **عجلان بن محمَّد العجلان**، على متابعة زيارة الرئيس المصري الراحل **محمَّد أنور السادات** لتلِّ أبيب، في الجريدة، عندما نظر إلينا الرجل، وهو قريب منَّا، فبدأ الحديث بما يوحي بأنَّه يشاركنا الشعور نفسه.

طال بنا الحديث حول الحدث المذكور، لينتهي بأن يقرِّر الدكتور **المهدي** بأنَّنا أمام أفعى تسمَّى إسرائيل، رأسها في نيويورك وذيلها في فلسطين، فعلينا إنْ أردنا التعامُل معها البدء من رأسها، لا من ذيلها، حيث يعيش في الولايات المتَّحدة الأمريكية ما يزيد عن ثلاثة وأربعين بالمئة (٤٣,١٪)، أي بما يصل إلى خمسة ملايين وخمس مئة وخمسة عشر ألف (٥,٥١٥,٠٠٠) نسمة من عدد اليهود في العالم، بينما يعيش في فلسطين

المحتلَّة، التي أراد لها اليهود أنْ تكون وطنهم القومي قرابة تسع وعشرين بالمئة (٢٩,٠٪)، أي ما يصل إلى ثلاثة ملايين وسبع مئة وسبعة عشر ألف (٣,٧١٧,٠٠٠) يهودي.[١]

تؤيِّد البيانات حول الدعم المادِّي والمعنوي لهذا الذيل من قبَل الرأس، إذ من المعلوم أنَّ دافع الضرائب الأمريكي يدعم دولة اليهود في فلسطين المحتلَّة بثلاثة مليارات (٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار سنويًّا، نقداً، منذ سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، بالإضافة إلى التسليح التقليدي والنووي، وتطوير صناعة السلاح للطائرات الحربية، والصواريخ التي وصل مداها إلى ٧,٥٠٠ كيلو متر. هذا بالإضافة إلى التبرُّعات التي تؤثِّر على الإفادة محلِّيًا من الضرائب، إذ إنَّها تحسم من المستحقَّات على دافعي الضرائب،[١] والدعم السياسي غير المحدود، وحماية دولة الاحتلال في المحافل والمنظَّمات الدولية.

---

(١) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. **الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتَّى انتفاضة الأقصى**- مرجع سابق- ص ٥٧.

(٢) يرى المستشار الاقتصادي الأمريكي توماس ستوفز أن مجمل المساعدات المادِّية المدنية والعسكرية والخسارات المعنوية التي تكبَّدها المواطن الأمريكي جرَّاء وقوف الإدارات الأمريكية المتعاقبة تقدّر بتريليون وست مئة مليار (١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار. انظر: مصطفى الدبَّاغ. **إمبرطورية تطفو على سطح الإرهاب: الكتاب الذي يجيب على التساؤل الأمريكي: لماذا يكرهوننا؟**- بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م- ص ٨٨. ويفصِّل المؤلِّف هذه المساعدات في: الفصل الرابع من الكتاب: أمريكا تدخل بيت الطاعة الإسرائيلي- ص ٧٥ - ٩٦.

الدكتور **محمَّد المهدي** لا يفتأ يدعو لذلك في كلِّ مجال، في مقابلته للزعماء العرب، وفي محاضراته هنا وهناك، وفي مقالاته وأحاديثه. وفي هذا دلالة على أنَّ التأثير موجود. ولا نزيد التوقُّف كثيرًا عند النسبة، فلعلَّ حلاَّق كليفلاند قد بالغ في تفسير البعض لمجمل القضية.

نقف أمام الرأي الآخر الذي يقول: إنَّ هناك مبالغةً وتهويلاً في تأثير اليهود على المجتمعات الغربية سياسيًا واقتصاديًا وعلميًا وفنيًا. وأنَّ إعطاءهم مثل هذا القدر إنَّما هو عامل نفسي أريد به أنْ يوهن من عزم غير اليهود بهذه الأوهام. هذا العامل النفسي سبق لهم أنْ استعملوه في مجالات عدَّة، منذ ظهورهم وشعورهم بأنَّهم شعب الله المختار إلى تحوُّلهم إلى اعتناق مبادئ الصهيونية والماسونية.[1]

استعملوا في ترسيخ هذا العامل النفسي خِدعًا كثيرة، وصلت بهم إلى التضحية بأبناء عقيدتهم في سبيل الوصول إلى التأثير الادِّعائي هذا. فالذين دلُّوا النازية على مساكن اليهود الخربة (الغيتو) إنَّما هم يهود معروفون.[2] والذين أُحرِقوا في معسكرات الغاز لم يكونوا كلُّهم يهودًا، ولم يكونوا ستة ملايين بمجملهم، كما

(١) انظر: محمَّد جمال طحَّان. **الخديعة الكبرى: هل اليهود . حقًا . شعب الله المختار؟** - مرجع سابق - ٢٤٠ ص.

(٢) انظر في التعريف بالغيتو اليهودي. سناء عبداللطيف حسين صبري. **الجيتو اليهودي**: =

تدِّعي أساطيرهم. والذي يُثبت هذه الحقائق مدلَّلةً قومٌ منهم كان لهم دور في الدعوة إلى اليهودية من رجال الدين اليهودي.

لقد نُشرت المقالات العديدة التي كتبها هؤلاء الحاخامات اليهود، ينفون فيها مسألة الستة ملايين نسمة، ويؤكِّدون على أنَّها لا تعدو أنْ تكون مجرَّد أسطورة، أُريد من ورائها دغدغة العواطف، ونيل التعاطُف من قِبل الحكومات الديمقراطية الغربية. وقد كان لهم شيء مما أرادوا، لكنه لا يصل إلى أنْ يكون لهم الدور الأكبر في هذه الدول.

لعلَّ من أمثلة استغلالهم للعواطف ما نشروه من مذكِّرات **آن فرانك**، التي تحكي فيها قصَّة مذبحتهم على يد النازية، إبَّان الحرب العالمية الثانية ١٣٦١ ـ ١٣٦٦هـ الموافق ١٩١٩ ـ ١٩٤٥م. وكاتبة المذكِّرات كانت قد توفِّيت، باعتراف والدها بالتيفوس، قبل نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٥م. وعندما توفِّي الوالد عام ١٩٨٠م حصلت محكمةٌ في هامبورغ بألمانيا على النسخة الأصلية من المذكِّرات، التي تؤكِّد وقوع المذبحة، واختبرتها لتكتشف أنَّ المذكِّرات كلها كانت قد كُتبت بالخط نفسه، وأنَّها كتبت بالقلم الناشف، الذي لم يخترع قبل عام ١٩٥١م، أي بعد

= دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي ـ دمشق: دار القلم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ـ ٤٥٤ ص.

ست سنين من وفاة كاتبة المذكِّرات. ولم يكن والد الفتاة يريد أنْ تقع مذكِّراتها الأصلية في أيدي الناس إبَّان حياته.

ليس هذا مجال التفصيل في المذكِّرات، لكنها كانت شائعة، إلى درجة أنها وضعت في قائمة الكتب المطلوب قراءاتها على طلاَّب المستوى السابع (الأول المتوسط) في إحدى مقاطعات ولاية فرجينيا بالولايات المتَّحدة، وقد طُبع منها حوالي أربعة عشر مليون (١٤,٠٠٠,٠٠٠) نسخة، بالإضافة إلى تمثيلها في السينما والتلفزيون، مما أتاح لمئات الملايين مشاهدتها في أماكن متعدِّدة. لكنَّ مواطني المقاطعة طالبوا إدارة التعليم فيها برفع المذكِّرات من القائمة؛ نظرًا لما تحتويه من مشاهد سيئة أخلاقيا.

هذا مثال واحد فقط لأسلوب من أساليب استدرار العطف على اليهود لمساعدتهم في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، من جهة، ولتسخير الموارد الاقتصادية، وغيرها، لهم من قِبل الدول الصناعية، عن طريق الهبات النقدية التعويضية العالية، التي تصرف لكلِّ يهودي في ألمانيا وفي فلسطين المحتلَّة، إمَّا بطريق مباشر أو غير مباشر.

نحن، بحكم خلفيتنا الدينية، نؤمن إيمانًا يمليه علينا القرآن الكريم، من خلال قصصهم، وسيرة الرسول ﷺ من خلال مواقفهم منه، نؤمن أنَّهم قوم غير سويِّين ثقافيًا، بأيِّ حال من

الأحوال، وأنَّهم أُشربوا في نفوسهم حبَّ السيطرة على العالم، واتَّبعوا في ذلك كل الأساليب غير المشروعة، وفرَّقوا بين الناس، وحاولوا، ولا يزالون يحاولون، إدخال الشكوك والفرقة والتناحُر بينهم، في سبيل الهدم وإشاعة الفوضى والاضطراب.

كان الأوس والخزرج من الأنصار مجتمعين في مكان ما من المدينة المنوَّرة، جمع بينهم الإسلام، وكانوا قبله متفرِّقين، فلاحظ هذه الأُلفةَ رجلٌ من يهود بني قينقاع، يقال له **شاس بن عدي**، أو **شاس بن قيس**، وكان من أحبار اليهود، وهو معروف، فجذب فتى يهوديًا إليه، وأوعز له أنْ يذهب ويثير في هاتين القبيلتين النعرة القبلية، ويذكِّرهم بأيَّامهم غير المستقرَّة، وما جرى فيها من حروب وانتصارات ونحوها، مما دار أيام الجاهلية. فذهب الفتى وصنع ما صنع، مما أثار حفيظة الجمعَين، حتى كادا أنْ يلتحما، لولا أنَّ بلغ الخبرُ رسولَ الله ﷺ، فهُرع إليهم، وذكَّرهم بما هم عليه مما يجُبُّ ما قبله، فاستعاذوا بالله من الشيطان الرجيم، وأدركوا الحيلة. والأمثلة المشابهة كثيرة.

هذا يوحي لنا بالموقف الحازم الذي يلزم أنْ نتَّخذه حيال اليهود، مهما بدا منهم من تقرُّب أو محاولة تقريب، فأمرهم لدينا معروف، ولكن علينا أنْ ندرك ذلك إدراك الموقنين المتذكِّرين المواقف الكثيرة التي حصلت، ولا تزال تحصل على مرِّ الأيام،

ليس على المسلمين أو العرب فحسب، بل إنَّ عقيدة اليهود الراسخة تملي على أباعها هذه المواقف.[1] ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾(المائدة ٨٢).

☆ ☆ ☆

(١) أوحت بهاتين الوقفتين الأخيرتين قطعةٌ كتبها الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ـ رحمه الله تعالى ـ بعنوان: **حلاَّق كوالالمبور من كتابه: خمسة أيَّام في ماليزيا** ـ ط ٢ ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ـ ٥٨ ص ـ (سلسلة المكتبة الصغيرة).

المراجع

١- أبو بكر، أميمة وشيرين شكري. **المرأة والجندر: إلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين**ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ـ ٢٥٥ ص ـ (سلسلة حوارات لقرن جديد).

٢- أبو خليل، شوقي. **تحرير المرأة ممن؟ وفيمَ حرِّيتها؟**ـ ط ٣ ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ـ ٧٩ ص.

٣- أبو خليل، شوقي. **التسامُح في الإسلام: المبدأ والتطبيق**ـ ط ٢ ـ دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨م ـ ١٤٣ ص ـ (سلسلة هذا هو الإسلام؛ ٣).

٤- أبوخليل، شوقي. **الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرِّين**ـ دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ـ ٢٤٠ ص.

٥- أبو شقَّة، عبدالحليم محمَّد. تحرير المرأة في عصر الرسالة: **دراسة عن المرأة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم**ـ ٦ ج ـ ط ٦ ـ الكويت: دار القلم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦- أبو عباة، إبراهيم بن محمَّد. **الصراع بين الحقِّ والباطل: وما تخفي صدورهم أكبر**ـ ط ٢ ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ـ ٨٥ ص.

٧- أبو العلا، عادل محمَّد صالح. **الصراع بين الحقِّ والباطل كما جاء**

في سورة الأعراف- الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م- ٧٩٠ ص.

٨- أحمد، مكرم محمَّد. **مؤامرة أم مراجعة: حوار مع قادة التطرُّف في سجن العقرب**- ط ٢- القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م- ٢٤٠ ص.

٩- إدريس، محمد جلاء. **العلاقات الحضارية**- دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- ١٧٦ ص.

١٠- أرسلان، شكيب. **لماذا تأخَّر المسلمون وتقدَّم غيرهم؟**/ تقديم محمَّد رشيد رضا؛ مراجعة خالد فاروق- القاهرة: دار البشير، ١٩٨٥م- ١٦٢ ص.

١١- الأطير، حسني يوسف. **البدايات الأولى للإسرائيليات في الإسلام**- ط ٢- القاهرة: مكتبة النافذة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م- ١٦٠ ص.

١٢- أمين، جلال. **عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١**- القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م- ١٤٣ ص.

١٣- بسيوني، محمَّد إبراهيم. **المؤامرة الكبرى: مخطَّط تقسيم الوطن العربي من بعد العراق**- دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م- ١٨٤ ص.

١٤- بلقزيز، عبدالإله، محاور. **الإسلام والحداثة والاجتماع السياسي: حوارات فكرية**- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤هـ- ١٤٧ص.

١٥- بلكا، إلياس. عقائد «نهاية العالم» في الفكر الغربي- **التسامُح**- ع ٨ (خريف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م- ص ٢٥٣- ٢٦٠.

١٦- بوكانن، باتريك ج.. **موت الغرب: أثر شيخوخة السكّان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب**/ نقله إلى العربية محمّد محمود التوبة؛ راجعه محمّد بن حامد الأحمري- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م- ٥٢٩ ص.

١٧- بوكاي، موريس. **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة**- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م- ٢٩١ ص.

١٨- التركي، عبدالله بن عبدالمحسن. **الأمن في حياة الناس وأهميّته في الإسلام**- الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م- ١٣٣ ص.

١٩- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية**- ٣٧ مج/ جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ومحمّد بن عبدالرحمن بن قاسم- الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م- ٢٨: ١٢١ - ١٧٩.

٢٠- جابر، خليل حسن. **بنو إسرائيل والإفساد الأول والثاني والثالث ونهايتهم على أيدي أصحاب مملكة المسلمين الأبدية**- ط ٢ - بيروت: دار المحجّة البيضاء، ٢٠٠٣م.

٢١- الجندي، أنور. **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي**- دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م- ٤٣١ ص.

٢٢- الجوير، إبراهيم بن مبارك. **عمل المرأة في المنزل وخارجه**- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م- ١٢٠ ص.

٢٣- جيهينو، جان - ماري. **نهاية الديموقراطية**/ ترجمة حليم طوسون- القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٥م- ١٢٠ ص.

٢٤- حبيب، رفيق. **حضارة الوسط: نحو أصولية جديدة**- القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م- ٢٥٩ ص. (سلسلة في فقه الحضارة العربية الإسلامية).

٢٥- حسن، محمَّد خليفة. **أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر**- الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية؛ عمادة البحث العلمي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م- ص ٢٥٩.

٢٦- حسين، عقيلة. **المرأة في الفكر الاستشراقي**- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م- ٢٩٠ ص.

٢٧- الحصيِّن، صالح بن عبدالرحمن. **قضايا بلا حدود** - الرياض: الإسلام اليوم، ١٤٢٥هـ- ص ٦٩.

٢٨- الحلواني، أمين بن حسن. **نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان**/ تحقيق مازن صلاح مطبَّقاني، تقديم محمَّد السيد الوكيل- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)- ٨٤ ص- (سلسلة دراسات منهجية للاستشراق؛ ٤).

٢٩- حمَّاد، سهيلة زين العابدين. **المرأة المسلمة ومواجهة تحدِّيات العولمة**- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- ٢١٥ ص.

٣٠- الخربوطلي، علي حسني. **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م- ١٣٧ ص- (سلسلة تاريخ المصريين؛ ١٥).

٣١- الخليفة، مي محمَّد. **من سواد الكوفة دل إيرانشهر إلى البحرين: القرامطة من فكرة إلى دولة**- بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م- ٣٧٨ ص.

٣٢- الدبَّاغ، مصطفى. **إمبرطورية تطفو على سطح الإرهاب: الكتاب الذي يجيب على التساؤل الأمريكي: لماذا يكرهوننا؟**- بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م- ١٦٤ ص.

٣٣- رايت، بيتر. **صائد الجواسيس**/ ترجمة عماد القسوس- ط ٢- عمَّان: دار الشروق، ١٩٨٨م- ٤٠٤ ص.

٣٤- الرفاعي، عبدالعزيز. **خمسة أيَّام في ماليزيا**- ط ٢- الرياض: دار الرفاعي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م- ٥٨ ص- (سلسلة المكتبة الصغيرة).

٣٥- زقزوق، مزقزوق، محمود حمدي. الإسلام في عصر العولمة- القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م- ١١٩ ص.

٣٦- زقزوق، محمود حمدي. **الإنسان والقيم في التصوُّر الإسلامي**- القاهرة: دار الرشاد، ٢٠٠٤م- ٢٧٠ ص- (سلسلة مكتبة الأسرة، الأعمال الدينية؛ ١٠).

٣٧- الزنداني، عبدالمجيد. **المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام**- الكويت: مكتبة المزار الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م- ١٨٠ ص.

٣٨- سعد، حسين. **بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب والمسلمين في مصر ١٩٠٠م/ ١٣١٨هـ إلى ١٩٦٤م/ ١٣٨٤هـ**. بيروت: المؤسَّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ١٨٤ ص.

٣٩- السعداوي، نوال وهبة رؤوف عزَّت. **المرأة والدين والأخلاق**. دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ٣٢٨ ص. (سلسلة حوارات لقرن جديد).

٤٠- سكيف، علي. **نهاية التاريخ في الفكر الإسلامي الحديث**. دمشق: الأوائل، ٢٠٠٤م. ٢٧٧ ص.

٤١- سيف الدولة، عصمت. **الاستبداد الديموقراطي**. بيروت: دار الكلمة، ١٩٨١م. ١٦٩ ص.

٤٢- الشرفي، عبدالمجيد. **الإسلام والحداثة**. تونس: دار الجنوب، ١٩٩٨م. ٢٣٠ ص.

٤٣- الشريف، مصطفى. **الإسلام والحداثة: هل يكون غداً عالم عربي؟**. القاهرة: دار الشروق، ١٩١٤هـ/ ١٩٩٩م. ١٠٤ ص.

٤٤- شعبان، عبدالمحسن. **فقه التسامُح**. بيروت: دار النهار، ٢٠٠٥م.

٤٥- شِكْ، إرفن جميل. **الاستشراق جنسيًا**/ ترجمة عدنان حسن؛ تقديم ممدوح عدوان. بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م. ٣٥٨ ص.

٤٦- شلبي، أحمد. **الاستشراق تاريخه وأهدافه، شبهات المستشرقين ضد الإسلام، مناقشتها وردها**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢١٢ ص.

٤٧- الشوباشي، شريف. **نهاية التفكير**- القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠١م. ١٨٢ ص- (سلسلة مكتبة الأسرة).

٤٨- صبري، سناء عبداللطيف حسين. **الجيتو اليهودي: دراسة ١- للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي**- دمشق: دار القلم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م- ٤٥٤ ص.

٤٩- طاش، عبدالقادر. **الإعلام والتغريب الثقافي**- الرياض: مؤسَّسة آسام، ١٤١٣هـ- ٥٥ ص.

٥٠- طاش، عبدالقادر. **هارون الرشيد**- بلينفيلد، إنديانا: منظَّمة الشباب المسلم العربي،.

٥١- طحَّان، محمَّد جمال. **الخديعة الكبرى: هل اليهود. حقًا. شعب الله المختار؟**- دمشق: الأوائل، ٢٠٠٣م- ٢٤٠ ص.

٥٢- عبدالحكيم، منصور. **نهاية العالم وأشراط الساعة**- دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م- ٢٦٢ ص.

٥٣- عبدالحميد، محسن. **أزمة المثقَّفين تجاه الإسلام**- القاهرة: دار الصحوة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٤- عبدالعزيز، زينب. **هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة: الحداثة والأصولية**- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٤م- ٢٠٠ ص- (سلسلة صليبية الغرب وحضارته؛ ٤).

٥٥- عبدالفتَّاح، محمَّد عبدالحليم. **سرُّ المؤامرة الكبرى: التهويد والتنصير قادم، غرور العقل البشري وتحدِّي الإله**- (القاهرة: المؤلِّف)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م- ١١٢ ص.

٥٦- عبدالوهَّاب، أحمد. **التغريب: طوفان من الغرب**ـ القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ـ ٤٨ ص.

٥٧- العثمان، عثمان. **نقد نظرية المؤامرة في تفسير الهزائم القومية والإسلامية** ـ دمشق: المؤلف، ٢٠٠٣م ـ ٣١٨ ص.

٥٨- العشماوي، **عبدالرحمن بن صالح. وقفة مع جرجي زيدان** ـ ط ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ١٢٣ ص.

٥٩- العُمَري، أكرم ضياء. **التراث والمعاصرة** ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ ـ ١٤١ ص ـ (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ١٠).

٦٠- العقيقي، نجيب. **المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتَّى اليوم** ـ ٣ مج ـ ط ٤ ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.

٦١- عيد، عبدالرزاق ومحمَّد عبدالجبار. **الديمقراطية بين العِلمانية والإسلام** ـ بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ـ ٢٦٤ ص.

٦٢- الغذَّامي، عبدالله محمَّد. **حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية** ـ ط ٢ ـ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤م ـ ٣٠٤ ص.

٦٣- الغزالي، أبو حامد محمَّد. **تهافت الفلاسفة**/ تقديم وضبط وتعليق جيرار جهامي ـ بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م ـ ٢٣١ ص.

٦٤- ابن الفوطي. **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب** ـ ٤ (١): ٢٤١.

٦٥- فوكوياما، فرانسيس. **نهاية الإنسان: عواقب الثورة البيوتكنولوجية**/ ترجمة أحمد مستجير ـ القاهرة: سطور، ٢٠٠٢م ـ ٣٠٤ ص.

٦٦- فوكوياما، فرانسيس. **نهاية التاريخ**/ ترجمة حسين الشيخ ـ بيروت: دار العلوم العربية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ـ ٢٨٠ ص.

٦٧- القحطاني، محمَّد بن سعيد بن سالم. **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف** ـ الرياض: دار طيبة، ١٩٨٥/١٤٠٥ ـ ٤٧٦ ص.

٦٨- القرني، عوض. **الحداثة في ميزان الإسلام** ـ القاهرة: دار هجر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٩- قلالة، محمَّد سليم. **التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد** ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ـ ٢٤٠ ص.

٧٠- ابن كثير، الحافظ. **البداية والنهاية**/ دقّق أصوله وحقّقه أحمد أبو ملحم وآخرون ـ ٨ مج ـ القاهرة:دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ـ ٦ (١٢): ١٠٧ ـ ١٠٨.

٧١- الكوثر. إحصائية التنصير للعام ٢٠٠٣: ٣٢٠ بليون دولار تبرُّعات للأغراض الكنسية ـ **الكوثر** مج ٣ ع ٤٢ (صفر ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م)- ص ٣٤.

٧٢- لويس، برنارد. أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية/ ترجمة حكمت تلحوق ـ بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٠م ـ

٧٣- لويس، برنارد. **الحشّاشون: فرقة ثورية في تاريخ الإسلام**/ ترجمة محمد العزب موسى- ط ٢- القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦م- ٢٠٣ ص.

٧٤- محمود، جمال الدين محمَّد. **المرأة المسلمة في عصر العولمة**- القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م- ٢٢٢ ص.

٧٥- محمود، عبدالحليم. **موقف الإسلام من الفنِّ والعلم والفلسفة**- القاهرة: دار الرشاد، ٢٠٠٣م- ٢٦٢ ص.

٧٦- محمود، علي عبدالحليم. **التراجُع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلُّب عليه**- المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م- ٤٥٦ ص.

٧٧- مراد، مصطفى. **نهاية العالم**- القاهرة: دار الفجر للتراث، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- ٣١٢ ص.

٧٨- مرسي، محمَّد عبدالعليم. **التغريب في التعليم في العالم الإسلامي**- الرياض: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م- ٩٢ ص.

٧٩- المركز العالمي للدراسات الإستراتيجية. **تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست**- ط ٢- الرياض: المركز، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م- ٩٨ ص.

٨٠- المسيري، عبدالوهَّاب. **الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتَّى انتفاضة الأقصى**- القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠١م- ١٨٤ ص- (سلسلة اقرأ؛ ٦٦١).

٨١- المسيري، عبدالوهَّاب وفتحي التريكي. **الحداثة وما بعد الحداثة**- دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- ٣٦٨ ص- (سلسلة حوارات لقرن جديد).

٨٢- المسيري، عبدالوهَّاب. **موسوعة اليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد** - ٨ مج- القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م.

٨٣- المسيري، عبدالوهَّاب. **اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدَّامة والسريَّة**- القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م- ٣٢٨ ص- (مشروع مكتبة الأسرة).

٨٤- مصطفى، عبدالعزيز. **حمًى سنة ٢٠٠٠** - لندن: المنتدى الإسلامي، ١٩٩٧م- ٢٦٢ ص.

٨٥- **المنجد في اللغة والأعلام**- ط ٢٣ - بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨م.

٨٦- منظمة العمل الدولية. **التقرير الرابع: حماية الأمومة في العمل: مراجعة اتفاقية حماية الأمومة (مراجعة) ١٩٥٢ (رقم ١٠٣) والتوصية، ١٩٥٢ (رقم ٩٥)**- جنيف: مكتب العمل الدولي، ١٩٩٩م- ١٢٩ ص.

٨٧- موسى، صبري أحمد. **نبوءات نهاية العالم بين الأديان السماوية والواقع العلمي المعاصر: دراسة دينية مقارنة في اليهودية والمسيحية والعقيدة الإسلامية**- القاهرة: دار البشير، ١٩٩٨م- ٢٤٠ ص.

٨٨- النملة، علي بن إبراهيم. **الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح**- الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م- ١٨٢ ص.

٨٩- النملة، علي بن إبراهيم. التجهيزات الأساسية للمعلومات: نظرة عامة- **مكتبة الإدارة**- ع ٢ مج ١٢ (جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/يناير - فبراير ١٩٨٥م)- ص ٢٣ - ٣٨.

٩٠- النملة، علي بن إبراهيم الحمد. **التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته**- ط ٤ - الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م- ٢٤٨ ص.

٩١- النملة، علي بن إبراهيم. **السعوديون والخصوصية الدافعة: الإصرار على التميُّز في زمن العولمة** - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م- ٢٦٥ ص.

٩٢- النملة، علي بن إبراهيم الحمد. **ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات**- ط ٢ - الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م- ٢١٠ ص.

٩٣- نويهض، عجاج. **بروتوكولات حكماء صهيون: نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية**- ط ٣ - بيروت: دار الاستقلال، ١٩٩٠م- ٦٤٤ ص.

٩٤- هنادي، محمَّد بن عبدالقادر. **تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث ونموذج المملكة العربية السعودية**- الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م- ١٣٤ ص- (سلسلة شهادات؛ ٢).

٩٥- هوفمان، مراد. **الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود** - القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م- ٢٧٦ ص.

٩٦- يسين، السيد. **الإمبراطورية الكونية: الصراع ضد الهيمنة الأمريكية**ـ القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٤م ـ ٣٢٠ ص.

٩٧- يونس، أحمد. **المسلمون الأمريكيون: أقسم بالله أن أقول الحقَّ**/ ترجمة نشأت جعفر ـ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ـ ٦٤ ص.

☆ ☆ ☆